تذكير الخلق بحسن الخلق

تأليف

عبد الهادي بن حسن وهبي

جمعية السراج المنير
١٤٢٧هـ
الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

جمعية السراج المنير الإسلامية

لبنان - بيروت - هاتف وفاكس: ٠١/٧٩١٠٥٠ ص.ب: ١٣٦٠٩٣ شوران
الموقع على الشبكة: www.asseraj.net - بريد إلكتروني: asseraj@asseraj.net
رقم الحساب: (٣٣٠٤) بنك البركة - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ خَيرَ الكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي

هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا؛ وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعدُ: فَإِنَّ شَأنَ الأَخلَاقِ عَظِيمٌ، وَإِنَّ مَنزِلَتَهَا لَعَالِيَةٌ فِي الدِّينِ.

وَلَقَد تَظَاهَرَت نُصُوصُ الشَّرعِ فِي الحَدِيثِ عَنِ الأَخلَاقِ، فَحَثَّت، وَحَضَّت، وَرَغَّبَت فِي مَحَاسِنِ الأَخلَاقِ، وَحَذَّرَت وَنَفَّرَت وَرَهَّبَت مِن مَسَاوِئِ الأَخلَاقِ.

بَل إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَيَّنَ: أَنَّ الغَايَةَ مِن بِعثَتِهِ إِنَّمَا هِيَ إِتمَامُ الأَخلَاقِ الفَاضِلَةِ، وَالسَّجَايَا الحَمِيدَةِ، وَالصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلَاقِ**»[(١)].

فَالأَنبِيَاءُ جَاؤُوا بِمَكَارِمِ الأَخلَاقِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَاءَ بِتَمَامِهَا، وَضَمَّ مُتَفَرِّقَهَا[(٢)].

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٠٧).
(٢) «شرح كتاب الشهاب» (ص٥١٩).

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسنَ الخُلُقِ مِن أَعظَمِ رَكَائِزِ الدِّينِ.

وَمَعَ عِظَمِ تِلكَ المَنزِلَةِ لِحُسنِ الخُلُقِ، إِلَّا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ المُسلِمِينَ قَد فَرَّطُوا فِي هَذَا الجَانِبِ، فَلَم يُلقُوا لَهُ بَالًا، وَلَم يُعِيرُوهُ اهتِمَامًا، فَسَاءَت أَخلَاقُ كَثِيرٍ مِنهُم، وَشَاعَت مَظَاهِرُ السُّوءِ فِي صُفُوفِهِم، وَقَلَّ الحَيَاءُ فِي سُلُوكِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَمُعَامَلَاتِهِم.

وَلَمَّا كَانَ حُسنُ الخُلُقِ أَعظَمَ الأُمُورِ قَدرًا وَأَعَمَّهَا نَفعًا، وَاستَقَامَ بِهِ أَمرُ الدِّينِ وَالدُّنيَا، وَانتَظَمَ بِهِ صَلَاحُ الآخِرَةِ وَالأُولَى، وَجَبَ أَن نَضَعَ حُسنَ الخُلُقِ نُصبَ أَعيُنِنَا.

فَلِشِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَى حُسنِ الخُلُقِ، جَاءَت هَذِهِ الكَلِمَاتُ تَذكِيرًا بِالخُلُقِ الحَسَنِ، وَتَحذِيرًا مِن سُوءِ الخُلُقِ.

أَسأَلُ اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ أَن يَجعَلَ عَمَلِي خَالِصًا لِوَجهِهِ الكَرِيمِ.

عبد الهادي بن حسن وهبي
البريد الإلكتروني: ahwehbi@hotmail.com

مَا هُوَ حُسنُ الخُلُقِ؟

عَن عَبدِ اللهِ بنِ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهُ وَصَفَ حُسنَ الخُلُقِ، فَقَالَ: هُوَ بَسطُ الوَجهِ، وَبَذلُ المَعرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى[١].

١- **بَسطُ الوَجهِ**: هُوَ إِشرَاقُهُ حِينَ مُقَابَلَةِ الخَلقِ، وَضِدُّ ذَلِكَ عُبُوسُ الوَجهِ.

وَقَد نَظَمَهُ بَعضُ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ:

بُنَيَّ إِنَّ البِرَّ شَيءٌ هَيِّنٌ
وَجهٌ طَلِيقٌ وَلِسَانٌ لَيِّنٌ[٢]

فَطَلَاقَةُ الوَجهِ تُدخِلُ السُّرُورَ عَلَى النَّاسِ،

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٥)، وصحح إسناده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٤٤٢٦٤): لابن عساكر عن ابن عمر من قوله.

وَتَجذِبُ المَوَدَّةَ، وَالمَحَبَّةَ، وَتُوجِبُ انشِرَاحَ الصَّدرِ مِنكَ وَمِمَّن يُقَابِلُكَ.

٢- **بَذلُ المَعرُوفِ**: وَبَذلُ المَعرُوفِ لَيسَ كَمَا يَظُنُّهُ بَعضُ النَّاسِ أَنَّهُ بَذلُ المَالِ فَقَط، بَل يَكُونُ فِي بَذلِ النَّفسِ، وَفِي بَذلِ الجَاهِ، وَفِي بَذلِ المَالِ، وَفِي بَذلِ العِلمِ.

إِذَا رَأَينَا شَخصًا يَقضِي حَوَائِجَ النَّاسِ، وَيُسَاعِدُهُم، وَيَتَوَجَّهُ فِي شُؤُونِهِم إِلَى مَن لَا يَستَطِيعُونَ الوُصُولَ إِلَيهِم، وَيَنشُرُ عِلمَهُ بَينَ النَّاسِ، وَيَبذُلُ مَالَهُ بَينَ النَّاسِ، هَل نَصِفُ هَذَا بِحُسنِ الخُلُقِ؟ نَعَم، نَصِفُهُ بِحُسنِ الخُلُقِ، لِأَنَّهُ بَذَلَ المَعرُوفَ.

وَيَدخُلُ فِي بَذلِ المَعرُوفِ: العَفوُ عَنِ النَّاسِ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا نَقَصَت صَدَقَةٌ مِن مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبدًا بِعَفوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[١].

العَفوُ عَن كُلِّ مَن أَسَاءَ إِلَيكَ بِقَولٍ، أَو فِعلٍ. وَالعَفوُ:

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

تَركُ المُؤَاخَذَةِ، مَعَ السَّمَاحَةِ عَنِ المُسِيءِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّن تَحَلَّى بِالأَخلَاقِ الجَمِيلَةِ، وَتَخَلَّى عَنِ الأَخلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِمَّن تَاجَرَ مَعَ اللهِ، وَعَفَا عَن عِبَادِ اللهِ، رَحمَةً بِهِم، وَإِحسَانًا إِلَيهِم، وَكَرَاهَةً لِحُصُولِ الشَّرِّ عَلَيهِم، وَلِيَعفُوَ اللهُ عَنهُ، وَيَكُونَ أَجرُهُ عَلَى رَبِّهِ الكَرِيمِ، لَا عَلَى العَبدِ الفَقِيرِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠][1]. أَي: يَأجُرُهُ عَلَى ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، وَأَبهَمَ الأَجرَ تَعظِيمًا لِشَأنِهِ، وَتَنبِيهًا عَلَى جَلَالَتِهِ[2].

وَيَنبَغِي أَن يُعلَمَ بِأَنَّ الإِنسَانَ إِذَا عَفَا عَمَّن ظَلَمَهُ فَقَد تَقُولُ لَهُ نَفسُهُ: إِنَّ هَذَا ذُلٌّ وَخُضُوعٌ وَخُذلَانٌ، «فَهَذَا مِن خِدَاعِ النَّفسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَنَهيِهَا عَنِ الخَيرِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُثِيبُكَ عَلَى عَفوِكَ هَذا عِزًّا وَرِفعَةً فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ»[3]. وَتَنَالُ مِنَ الكَرِيمِ الوَهَّابِ: جَمِيلَ الأَجرِ، وَجَزِيلَ الثَّوَابِ.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ١٧٩).
(٢) «فتح البيان» (١٢/ ٣١٣).
(٣) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٢٨٤).

فَالعَفوُ مِنَ المَخلُوقِ ظَاهِرُهُ ذُلٌّ، وَبَاطِنُهُ عِزٌّ وَمَهَابَةٌ، وَالِانتِقَامُ ظَاهِرُهُ عِزٌّ وَبَاطِنُهُ ذُلٌّ، فَمَا زَادَ اللهُ بِعَفوٍ إِلَّا عِزًّا، وَلَا انتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفسِهِ إِلَّا ذُلًّ، وَلِهَذَا مَا انتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفسِهِ قَطُّ.

عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: «**يَا عُقبَةُ بنَ عَامِرٍ! صِل مَن قَطَعَكَ، وَأَعطِ مَن حَرَمَكَ، وَاعفُ عَمَّن ظَلَمَكَ**»[1].

قَولُهُ: «**صِل مَن قَطَعَكَ**»: أَي: تَصِلُ رَحِمَكَ وَإِن قَطَعَكَ.

وَلَيسَ الوَاصِلُ لِرَحِمِهِ هُوَ مَن يُعَامِلُ أَرحَامَهُ بِالمِثلِ، فَإِن وَصَلُوهُ وَصَلَهُم، وَإِن قَطَعُوهُ قَطَعَهُم، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ هُوَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتهُ رَحِمُهُ وَصَلَهَا.

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَت رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[2].

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٨)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٣٦).
(٢) رواه البخاري (٥٩٩١).

قَولُهُ: «**وَأَعطِ مَن حَرَمَكَ**»: أَي: مَنَعَكَ مَا هُوَ لَكَ؛ لِأَنَّ مَقَامَ الإِحسَانِ إِلَى المُسِيءِ وَمُقَابَلَةَ إِسَاءَتِهِ بِإِحسَانٍ مِن كَمَالِ الإِيمَانِ[١].

قَولُهُ: «**وَاعفُ عَمَّن ظَلَمَكَ**»: «العَفوُ هُوَ الصَّفحُ وَالتَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنبِ، أَي: تَصفَحُ عَمَّن ظَلَمَكَ وَتَتَجَاوَزُ عَن ذَنبِهِ، وَلَا تُؤَاخِذُهُ بِمَا نَالَ مِنكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِن خِصَالِ الإِيمَانِ، وَسَبَبٌ لِلرِّفعَةِ وَالعِزَّةِ»[٢].

وَقَد نَظَمَ بَعضُهُم مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا يَلِي:

مَكَارِمُ الأَخلَاقِ فِي ثَلَاثَةٍ
مَن كَمُلَت فِيهِ فَذَلِكَ الفَتَى
إِعطَاءُ مَن تَحرِمُهُ وَوَصلُ مَن
تَقطَعُهُ وَالعَفوُ عَن مَنِ اعتَدَى[٣]

٣- **كَفُّ الأَذَى**: وَهُوَ أَن يَكُفَّ الإِنسَانُ أَذَاهُ عَن غَيرِهِ

(١) «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» (ص٣٣٩)، لفضيلة الشيخ عبد العزيز الرشيد.
(٢) «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» (ص٣٣٩).
(٣) نسبه أبو عبد الله القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤١٩ - ٤٢٠)، لبعض الشعراء دون تعيين.

بِالقَولِ وَالفِعلِ، فَمَن لَم يَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ الخَلقِ فَلَيسَ بِحَسَنِ الخُلُقِ، بَل هُوَ سَيِّئُ الخُلُقِ.

وَقَد أَعلَنَ الرَّسُولُ ﷺ حُرمَةَ أَذِيَّةِ المُسلِمِ بِأَيِّ نَوعٍ مِنَ الإِيذَاءِ، وَذَلِكَ فِي أَعظَمِ مَجمَعٍ اجتَمَعَ فِيهِ بِأُمَّتِهِ، حَيثُ قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُم، وَأَموَالَكُم، وَأَعرَاضَكُم بَينَكُم حَرَامٌ، كَحُرمَةِ يَومِكُم هَذَا، فِي شَهرِكُم هَذَا، فِي بَلَدِكُم هَذَا**»[١].

فَالَّذِي يَعتَدِي عَلَى النَّاسِ بِالسَّبِّ وَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، لَا يَكُونُ هَذَا حَسَنَ الخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، لِأَنَّهُ لَم يَكُفَّ أَذَاهُ، وَيَعظُمُ إِثمُ ذَلِكَ كُلَّمَا كَانَ مُوَجَّهًا إِلَى مَن لَهُ حَقٌّ عَلَيكَ أَكبَرُ.

فَالإِسَاءَةُ إِلَى الوَالِدَينِ مَثَلًا أَعظَمُ مِنَ الإِسَاءَةِ إِلَى غَيرِهِمَا، وَالإِسَاءَةُ إِلَى الأَقَارِبِ أَعظَمُ مِنَ الإِسَاءَةِ إِلَى الأَبَاعِدِ، وَالإِسَاءَةُ إِلَى الجِيرَانِ أَعظَمُ مِنَ الإِسَاءَةِ إِلَى مَن لَيسُوا جِيرَانًا لَكَ. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاللَّهِ لَا يُؤمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤمِنُ**» قِيلَ: وَمَن يَا رَسُولَ اللهِ؟

(١) رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

قَالَ: «الَّذِي لَا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[١].

هَذِهِ هِيَ الأُصُولُ الثَلَاثَةُ الَّتِي يَدُورُ عَلَيهَا حُسنُ الخُلُقِ فِي مُعَامَلَةِ الخَلقِ.

قَالَ العَلَّامَةُ السِّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَجِمَاعُ حُسنِ الخُلُقِ: أَن يَتَحَمَّلَ العَبدُ الأَذَى مِنهُم، وَيَبذُلَ إِلَيهِم مَا استَطَاعَ مِنَ المَعرُوفِ القَولِيِّ وَالبَدَنِيِّ وَالمَالِيِّ، وَأَن يُخَالِقَهُم بِحَسَبِ أَحوَالِهِم بِمَا يُحِبُّونَ، إِذَا لَم يَكُن فِي ذَلِكَ مَحذُورٌ شَرعِيٌّ، وَأَن يَدفَعَ السَّيِّئَةَ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ؛ وَلَا يَقُومُ بِهَذَا الأَمرِ إِلَّا المُؤمِنُونَ الكُمَّلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصِّلَتْ][٢].

وَيُهَوِّنُ هَذَا الأَمرَ أَنَّ هَذَا خُلُقٌ، مَن ظَفِرَ بِهِ وَحَازَهُ، فَقَد فَازَ بِالحَظِّ العَظِيمِ، وَأَنَّ لِصَاحِبِهِ عِندَ اللهِ: المَقَامَاتِ العَالِيَةَ، وَالنَّعِيمَ المُقِيمَ[٣].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (٦٠١٦).
(٢) «تيسير اللطيف المنان» (ص٥٩).
(٣) المصدر السابق (ص٢١٤).

التَّرغِيبُ فِي حُسنِ الخُلُقِ

وَكَفَى بِحُسنِ الخُلُقِ شَرَفًا وَفَضلًا، أَنَّهُ مِن أَفضَلِ أَعمَالِ الصِّدِّيقِينَ وَالصَّالِحِينَ، بِهِ تُنَالُ الدَّرَجَاتُ، وَتُرفَعُ المَقَامَاتُ.

وَشَرَفُ «الْمَطْلُوبِ بِشَرَفِ نَتَائِجِهِ، وَعِظَمِ خَطَرِهِ بِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ، وَبِحَسَبِ مَنَافِعِهِ تَجِبُ الْعِنَايَةُ بِهِ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِنَايَةِ بِهِ يَكُونُ اجْتِنَاءُ ثَمَرَتِهِ، وَأَعْظَمُ الْأُمُورِ خَطَرًا وَقَدْرًا وَأَعَمُّهَا نَفْعًا وَرِفْدًا»[١] حُسنُ الخُلُقِ.

وَإِنَّ لِحُسنِ الخُلُقِ فَضَائِلَ عَدِيدَةً:

أَوَّلًا: الأَمرُ بِهِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأَعرَاف].

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص١٧).

«وَلَقَدِ استَأذَنَ الحُرُّ بنُ قَيسٍ لِعُيَينَةَ بنِ حِصنٍ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيهِ، قَالَ: هِي (وَهِيَ كَلِمَةُ تَهدِيدٍ) يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعطِينَا الجَزلَ (يَعنِي أَنَّكَ بَخِيلٌ)، وَلَا تَحكُمُ بَينَنَا بِالعَدلِ! (يَعنِي أَنَّكَ ظَالِمٌ).

فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ (أَي أَرَادَ)، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ! إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ.

وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِندَ كِتَابِ اللهِ»[1] (مُمتَثِلًا لِأَحكَامِهِ لَا يُجَاوِزُهُ).

وَعَن وَهبِ بنِ كَيسَانَ قَالَ: سَمِعتُ عَبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيرِ يَقُولُ عَلَى المِنبَرِ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف] قَالَ: «وَاللَّهِ! مَا أَمَرَ بِهَا أَن تُؤخَذَ إِلَّا مِن أَخلَاقِ النَّاسِ، وَاللَّهِ! لَآخُذَنَّهَا مِنهُم

(١) انظر: البخاري (٤٦٤٢).

مَا صَحِبتُهُم»[1].

فَلَو أَخَذَ النَّاسُ كُلُّهُم بِهَذِهِ الآيَةِ، لَكَفَتهُم وَشَفَتهُم[2].

قَولُهُ ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾: أَي: «خُذ مَا عَفَا وَصَفَا لَكَ مِن أَخلَاقِ النَّاسِ، وَاغتَنِم مَا حَصَلَ مِنهَا، وَغُضَّ النَّظَرَ عَمَّا تَعَذَّرَ تَحصِيلُهُ مِنهُم، وَعَن نَقصِهَا وَكَدَرِهَا.

وَمَعنَى ذَلِكَ: أَن تَشكُرَ النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَ مِنهُم مِنَ الخَيرِ وَالإِحسَانِ، وَمَا سَمَحَت بِهِ طِبَاعُهُم مِنَ الخُلُقِ الطَّيِّبِ، وَلَا تَطلُب مِنهُم وَلَا تُطَالِبهُم بِمَا زَادَ عَمَّا حَصَلَ، وَلَو كَانَ لَازِمًا لَهُم، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَستَرِيحُ وَتُرِيحُهُم.

أَمَّا مَن كَانَ يُرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَن يَكُونُوا كَامِلِينَ مُكَمَّلِينَ لِكُلِّ مَا يَجِبُ وَيُستَحَبُّ، وَإِذَا أَخَلُّوا بِشَيءٍ مِن ذَلِكَ، عَاتَبَهُم وَأَهدَرَ مَا جَاءَ مِنهُم مِنَ الخَيرِ وَالإِحسَانِ، فَهُوَ عَن حُسنِ الخُلُقِ بِمَعزِلٍ، وَلَا يَزَالُ

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الأدب المفرد» (١٨٣).
(٢) «الرسالة التبوكية» (ص٢٢٨).

مَعَهُم فِي نِزَاعٍ وَلِجَاجٍ وَعِتَابٍ، وَإِنَّمَا الحَازِمُ مَن يُوَطِّنُ نَفسَهُ عَلَى تَقصِيرِ المُقَصِّرِينَ وَنُقصَانِ النَّاقِصِينَ؛ وَقَد أَرشَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الخُلُقِ الفَاضِلِ فِي مُعَامَلَةِ الزَّوجِ لِزَوجَتِهِ، فَقَالَ: «**لَا يَفْرَكْ**[١] **مُؤمِنٌ مُؤمِنَةً، إِن كَرِهَ مِنهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنهَا آخَرَ**»[٢].

«فَأَمَرَ بِالإِغضَاءِ عَمَّا فِيهَا مِنَ العُيُوبِ، وَأَن يَكُونَ نَظَرُهُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ المَحَاسِنِ وَالمَنَافِعِ، وَيَجعَلَ هَذَا شَفِيعًا لِهَذَا، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ تَدُومُ الزَّوجِيَّةُ، وَتَتِمُّ الصُّحبَةُ الطَّيِّبَةُ وَالصَّفَاءُ، وَيَقِلُّ النِّزَاعُ وَالخِصَامُ؛ وَقِس عَلَى هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ﷺ جَمِيعَ المُعَامَلَاتِ وَالحُقُوقِ، فَالمُعَامَلَةُ بَينَ الوَالِدَينِ وَأَولَادِهِم، إِذَا كَانَت عَلَى هَذَا الوَصفِ، حَصَلَ البِرُّ، وَأُدِّيَتِ الحُقُوقُ؛ إِذَا وَطَّنَ الوَالِدُ نَفسَهُ عَلَى شُكرِ مَا حَصَلَ مِن وَلَدِهِ مِنَ البِرِّ وَلَو قَلِيلًا، وَعَفَا عَن تَقصِيرِهِ، ازدَادَ البِرُّ، وَحَصَلَ لِلوَالِدَينِ رَاحَةٌ، فَرَحِمَ اللهُ مَن أَعَانَ أَولَادَهُ عَلَى بِرِّهِ.

---

(١) بفتح الياء والراء، أي: يُبغِض.

(٢) رواه مسلم (١٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَكَذَلِكَ الأَولَادُ عَلَيهِمُ القِيَامُ بِبِرِّ وَالِدِيهِم، وَأَن يُوَطِّنُوا أَنفُسَهُم عَلَى مَا يَنَالُهُم مِنَ الوَالِدَينِ: مِن سُوءِ الخُلُقِ وَشَرَاسَتِهِ، وَسَيِّئِ الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ الَّتِي تَصدُرُ مِنهُم، لِيُوَطِّنُوا أَنفُسَهُم عَلَى احتِمَالِهَا، وَأَن يَشكُرُوهُم عَلَى مَا نَالَهُم مِنهُم مِنَ الإِحسَانِ مَهمَا كَانَ، فَهَذَا مِنَ البِرِّ وَالصِّلَةِ الَّتِي لَا يُوَفَّقُ لَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

وَكَذَلِكَ حُقُوقُ الأَصحَابِ وَالجِيرَانِ وَالمُعَامِلِينَ، يَنبَغِي أَن يَسلُكَ مَعَهُم هَذَا المَسلَكَ: القَنَاعَةَ بِمَا جَاءَ مِنهُم، وَتَحَمُّلَ مَا لَا يُوَافِقُ الإِنسَانَ مِن قَولٍ أَو فِعلٍ أَو مُعَامَلَةٍ، فَبِذَلِكَ تَدُومُ الصُّحبَةُ وَتَقوَى.

أَمَّا مَن كَانَ إِذَا جَاءَهُ مِن أَصحَابِهِ أَو مُعَامِلِيهِ وَنَحوِهِم سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ، أَهدَرَ بِهَا مَا سَبَقَهَا مِنَ المَحَاسِنِ، فَهَذَا مِن أَعظَمِ الحُمقِ وَقِلَّةِ الوَفَاءِ وَعَدَمِ الإِنصَافِ، وَمَن كَانَ بِهَذَا الوَصفِ، فَهُوَ أَبعَدُ النَّاسِ مِن حُسنِ الخُلُقِ؛ وَالمَقصُودُ أَنَّ المُعَامَلَةَ بَينَ المُختَلِطِينَ وَالمُرتَبِطِينَ بِحَقٍّ مِنَ الحُقُوقِ، إِذَا بُنِيَت

عَلَى قَولِهِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، فَوَطَّنَ العَبدُ نَفسَهُ عَلَى أَخذِ المَنَافِعِ وَالصَّفحِ عَن ضِدِّهِ، أَوصَلَت صَاحِبَهَا إِلَى كُلِّ خَيرٍ، وَسَلِمَ بِهَا مِن شُرُورٍ كَثِيرَةٍ؛ وَإِذَا بُنِيَت عَلَى الإِستِقصَاءِ وَطَلَبِ جَمِيعِ الحَقِّ المُستَوفَى، حَصَلَ النَّقصُ وَالخَلَلُ»[١].

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾: أي: «بِكُلِّ قَولٍ حَسَنٍ، وَفِعلٍ جَمِيلٍ، وَخُلُقٍ كَامِلٍ لِلقَرِيبِ وَالبَعِيدِ. إِمَّا تَعلِيمِ عِلمٍ، أَو حَثًّا عَلَى خَيرٍ: مِن صِلَةِ رَحِمٍ، أَو بِرٍّ وَالِدَينِ، أَو إِصلَاحٍ بَينَ النَّاسِ، أَو نَصِيحَةٍ نَافِعَةٍ، أَو رَأيٍ مُصِيبٍ، أَو مُعَاوَنَةٍ عَلَى بِرٍّ وَتَقوَى، أَو زَجرٍ عَن قَبِيحٍ، أَو إِرشَادٍ إِلَى تَحصِيلِ مَصلَحَةٍ دِينِيَّةٍ، أَو دُنيَوِيَّةٍ»[٢].

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: «فَمَن آذَاكَ بِقَولِهِ أَو فِعلِهِ لَا تُؤذِهِ، وَمَن حَرَمَكَ لَا تَحرِمهُ، وَمَن قَطَعَكَ فَصِلهُ، وَمَن ظَلَمَكَ فَاعدِل فِيهِ»[٣]. «فَتَكسَبَ السَّلَامَةَ

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ٤٢١ - ٤٢٢).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤١٩)، بتصرف يسير.
(٣) المصدر السابق (ص٤٢٠).

وَالأَجرَ وَحُسنَ الذِّكرِ، وَالِاتِّصَافَ بِمَكَارِمِ الأَخلَاقِ وَأَعَالِيهَا»[١].

فَمَن قَامَ بِهَذِهِ الأُمُورِ، فَقَدِ اتَّصَفَ بِحُسنِ الخُلُقِ[٢].

فَلِلَّهِ مَا أَحلَى هَذِهِ الأَخلَاقَ! وَمَا أَجمَعَهَا لِكُلِّ خَيرٍ![٣]

قَالَ العَلَّامَةُ السِّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

خُذِ العَفْوَ مِنْ أَخلَاقِ مَنْ قَد صَحِبْتَهُ
كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ[٤]

ثَانِيًا: الوَصِيَّةُ بِهِ:

عَن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيثُمَا كُنتَ، وَأَتبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[٥].

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ٤٢٣).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٤٢٣).
(٣) «فتح الرحيم الملك العلَّام» (ص١١٣).
(٤) «مجموع مؤلفات العلامة السعدي» (٦/ ٨٦٨)، طبعة دار الميمان - الرياض.
(٥) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٣).

قَولُهُ ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» هَذَا مِن خِصَالِ التَّقوَى، وَلَا تَتِمُّ التَّقوَى إِلَّا بِهِ، وَإِنَّمَا أَفرَدَهُ بِالذِّكرِ لِلحَاجَةِ إِلَى بَيَانِهِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ التَّقوَى هِيَ القِيَامُ بِحَقِّ اللهِ دُونَ حُقُوقِ عِبَادِهِ، فَنَصَّ لَهُ عَلَى الأَمرِ بِإِحسَانِ العِشرَةِ لِلنَّاسِ، لِأَنَّ مَن يُخَالِطُ النَّاسَ، يَحتَاجُ إِلَى مُخَالَقَةِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ(١).

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: وَجِمَاعُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ بِالسَّلَامِ وَالْإِكْرَامِ وَالدُّعَاءِ لَهُ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالزِّيَارَةِ لَهُ. وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالْمَالِ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ. وَبَعْضُ هَذَا وَاجِبٌ وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبٌّ(٢).

ثَالِثًا: حُسنُ الخُلُقِ صِفَةُ المُؤمِنِينَ الكُمَّلِ الخُلَّصِ

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٥٤)، بتصرف يسير.
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٥٨).

«أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا»(١).

«هَذَا الحَدِيثُ يَنبَغِي أَن يَكُونَ دَائِمًا نُصبَ عَينَيِ المُؤمِنِ؛ فَأَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا»(٢).

الإِيمَانُ يَحُثُّ صَاحِبَهُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَيَزجُرُهُ عَن كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ(٣).

الإِيمَانُ يَدعُو إِلَى حُسنِ الخُلُقِ مَعَ جَمِيعِ طَبَقَاتِ النَّاسِ... وَإِذَا ضَعُفَ الإِيمَانُ، أَو نَقَصَ، أَوِ انحَرَفَ، أَثَّرَ ذَلِكَ فِي أَخلَاقِ العَبدِ انحِرَافًا، بِحَسَبِ بُعدِهِ عَنِ الإِيمَانِ(٤).

وَإِنَّمَا يَكمُلُ إِيمَانُ المَرءِ الَّذِي بِهِ يَنَالُ الفَوزَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَيَحُوزُ جَمِيعَ الخَيرَاتِ، وَيَبلُغُ أَقصَى المَنَازِلِ وَأَنهَى الغَايَاتِ: بِحُسنِ الخُلُقِ.

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٤١).
(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (ص٦٧٠)، للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) «أصول عظيمة من قواعد الإسلام» (ص٥٤)، للعلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ.
(٤) «تيسير اللطيف المنان» (ص٥٩).

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما قَالَ: لَم يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِن خِيَارِكُم أَحسَنَكُم أَخلَاقًا**»(١).

فَحُسنُ الخُلُقِ مَيدَانٌ لِلتَّنَافُسِ بَينَ المُؤمِنِينَ، فَمَن سَبَقَ فِيهِ، كَانَ مِن خِيَارِ المُؤمِنِينَ وَأَكمَلَهُم إِيمَانًا.

إِنَّ خَيرِيَّةَ الرَّجُلِ لَا تُقَاسُ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ فَحَسبُ، بَل لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي أَخلَاقِهِ وَشِيَمِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(٢)

فَمَن كَانَ حُسنُ الخُلُقِ فِيهِ أَكثَرَ، كَانَ خَيرُهُ أَكثَرَ.

رَابِعًا: حُسنُ الخُلُقِ مِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن أَكثَرِ مَا يُدخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «**تَقوَى اللهِ وَحُسنُ**

(١) رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) - والسِّياق له -. وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٠٢٢).

الخُلُقِ»(١).

فَقَد ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ سَبَبَينِ لِدُخُولِ الجَنَّةِ: تَقوَى اللهِ وَحُسنَ الخُلُقِ.

«فَتَقوَى اللهِ تُصلِحُ مَا بَينَ العَبدِ وَبَينَ رَبِّهِ، وَحُسنُ الخُلُقِ يُصلِحُ مَا بَينَهُ وَبَينَ خَلقِهِ: فَتَقوَى اللهِ تُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ اللهِ. وَحُسنُ الخُلُقِ يَدعُو النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِهِ»(٢).

عَن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَن تَرَكَ المِرَاءَ وَإِن كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَن تَرَكَ الكَذِبَ وَإِن كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيتٍ فِي أَعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسَّنَ خُلُقَهُ**»(٣).

فَجَعَلَ البَيتَ العُلوِيَّ جَزَاءً لِأَعلَى المَقَامَاتِ

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وحسَّن إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

(٢) «الفوائد» (ص٢١٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسَّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٧٩).

الثَّلَاثَةِ وَهِيَ حُسنُ الخُلُقِ، وَالأَوسَطَ لِأَوسَطِهَا وَهُوَ تَركُ الكَذِبِ، وَالأَدنَى لِأَدنَاهَا وَهُوَ تَركُ المُمَارَاةِ وَإِن كَانَ مَعَهُ حَقٌّ، وَلَا رَيبَ أَنَّ حُسنَ الخُلُقِ مُشتَمِلٌ عَلَى هَذَا كُلِّهِ[١].

خَامِسًا: حُسنُ الخُلُقِ يَبلُغُ بِهِ العَبدُ دَرَجَاتِ المُجتَهِدِينَ فِي العِبَادَةِ

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ المُؤمِنَ لَيُدرِكُ بِحُسنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**»[٢].

فَيَا تُرَى مَا هُوَ السِّرُّ فِي وُصُولِ مَن كَانَت أَخلَاقُهُ حَسَنَةً، إِلَى دَرَجَةِ قَائِمِ اللَّيلِ وَصَائِمِ النَّهَارِ؟!

فَالسِّرُّ يَكمُنُ فِي أَنَّ صَاحِبَ الخُلُقِ الحَسَنِ أُعطِيَ هَذَا الفَضلَ العَظِيمَ؛ لِأَنَّ الصَّائِمَ القَائِمَ يُجَاهِدُ نَفسًا وَاحِدَةً وَهِيَ نَفسُهُ، فَعَظُمَ قَدرُهُ وَعَلَت رُتبَتُهُ لِمُجَاهَدَتِهِ

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٦٥٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٧٨).

نَفسَهُ؛ وَذُو الخُلُقِ الحَسَنِ يُجَاهِدُ نَفسَهُ وَأَنفُسًا كَثِيرَةً مِمَّن يُعَاشِرُهُم وَيُعَاشِرُونَهُ، فَيَتَحَمَّلُ أَثقَالَ نَفسِهِ وَأَثقَالَ غَيرِهِ، «الَّذِينَ طُبِعُوا عَلَى أَخلَاقٍ، إِزَالَتُهَا وَقَلعُهَا أَصعَبُ مِن قَلعِ الجِبَالِ الرَّوَاسِي»[١] فَهُوَ فِي جِهَادٍ كَبِيرٍ، فَأَدرَكَ بِحُسنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ.

سَادِسًا: حُسنُ الخُلُقِ أَثقَلُ شَيءٍ فِي المِيزَانِ:

عَن أَبِي الدَّردَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِن شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثقَلُ مِن حُسنِ الخُلُقِ**»[٢].

وَمَا مِن مُسلِمٍ إِلَّا وَيَتَمَنَّى أَن يَثقُلَ مِيزَانُ حَسَنَاتِهِ يَومَ القِيَامَةِ، لِيَكُونَ سَبَبًا لِنَجَاتِهِ.

فَاحرِص - رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ - عَلَى تَثقِيلِ مِيزَانِكَ بِتَحسِينِ أَخلَاقِكَ وَمُجَاهَدَةِ نَفسِكَ.

(١) «تيسير اللطيف المنان» (ص٢١٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

سَابِعًا: حُسنُ الخُلُقِ سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ

عَن جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِن أَحَبِّكُم إِلَيَّ وَأَقرَبِكُم مِنِّي مَجلِسًا يَومَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أَخلَاقًا، وَإِنَّ أَبغَضَكُم إِلَيَّ وَأَبعَدَكُم مِنِّي مَجلِسًا يَومَ القِيَامَةِ: الثَّرثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيهِقُونَ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَد عَلِمنَا الثَّرثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفَيهِقُونَ؟ قَالَ: «**المُتَكَبِّرُونَ**»[(١)].

الثَّرثَارُ: هُوَ كَثِيرُ الكَلَامِ بِغَيرِ فَائِدَةٍ دِينِيَّةٍ، وَالمُتَشَدِّقُ: المُتَكَلِّمُ بِمِلءِ فِيهِ تَفَاصُحًا وَتَعَاظُمًا وَتَطَاوُلًا، وَإِظهَارًا لِفَضلِهِ عَلَى غَيرِهِ، وَأَصلُهُ مِنَ الفَهْقِ: وَهُوَ الِامتِلَاءُ.

ثَامِنًا: حُسنُ الخُلُقِ سَبَبٌ فِي مَحَبَّةِ اللهِ ﷻ لِعَبدِهِ:

عَن أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِندَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيرُ، لَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ،

(١) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٨٥).

إِذ جَاءَهُ نَاسٌ مِنَ الأَعرَابِ... قَالُوا: فَمَن أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**أَحسَنُهُم خُلُقًا**»[(١)].

وَفِي الحَدِيثِ حَثٌّ عَلَى حُسنِ الخُلُقِ «حَيثُ عَلَّقَ بِهِ حُكمَ الأَحَبِّيَّةِ، وَكُلُّ مُؤمِنٍ يَرغَبُ فِي ذَلِكَ كَمَالَ الرَّغبَةِ لِيَفُوزَ بِهَذِهِ المَحَبَّةِ»[(٢)].

تَاسِعًا: حُسنُ الخُلُقِ يَحصُلُ فِيهِ الخَيرُ الكَثِيرُ

عَنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمعَانَ الأَنصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ البِرِّ وَالإِثمِ؟ فَقَالَ: «**البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، وَالإِثمُ مَا حَاكَ فِي صَدرِكَ، وَكَرِهتَ أَن يَطَّلِعَ عَلَيهِ النَّاسُ**»[(٣)].

البِرُّ: هُوَ الكَمَالُ المَطلُوبُ مِنَ الشَّيءِ، وَالمَنَافِعُ الَّتِي فِيهِ وَالخَيرُ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيهِ اشتِقَاقُ هَذِهِ اللَّفظَةِ وَتَصَارِيفُهَا فِي الكَلَامِ. وَمِنهُ «البُرُّ» بِالضَّمِّ لِمَنَافِعِهِ وَخَيرِهِ بِالإِضَافَةِ

(١) رواه الحاكم (٤/ ٤٠٠ رقم ٨٢١٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٢).
(٢) «فيض القدير» (١/ ١٦٦).
(٣) رواه مسلم (٢٥٥٣).

إِلَى سَائِرِ الحُبُوبِ. وَمِنهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَبَرٌّ، وَكِرَامٌ بَرَرَةٌ، وَالأَبرَارُ[١]. وَمِنهُ: البَرُّ بِالفَتحِ مِن أَسمَاءِ اللهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ تَعَالَى كَثِيرُ الخَيرَاتِ، جَزِيلُ العَطَايَا وَالهِبَاتِ.

«فَالبِرُّ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ أَنوَاعِ الخَيرِ، وَالكَمَالِ المَطلُوبِ مِنَ العَبدِ»[٢]. إِذ هُوَ كَمَالُ العَبدِ وَصَلَاحُهُ، الَّذِي لَا صَلَاحَ لَهُ بِدُونِهِ[٣].

فَقَد أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ البِرَّ حُسنُ الخُلُقِ، أَي: مِن أَعظَمِ خِصَالِ البِرِّ: حُسنُ الخُلُقِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسنَ الخُلُقِ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَهُوَ حَقَائِقُ الإِيمَانِ، وَشَرَائِعُ الإِسلَامِ، وَلِهَذَا قَابَلَهُ بِالإِثمِ.

عَاشِرًا: حُسنُ الخُلُقِ سَبَبٌ لِاستِيعَابِ النَّاسِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [قَالَ]: «**إِنَّكُم لَن تَسَعُوا النَّاسَ بِأَموَالِكُم، وَلَكِن يَسَعُهُم مِنكُم: بَسطُ**

(١) «الرسالة التبوكية» (ص١٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق (ص٢٨).

الوَجهِ، وَحُسنُ الخُلُقِ»[١].

«النَّاسُ كَثِيرُونَ، وَالمَالُ قَلِيلٌ، مَالُكَ لَا يُغَطِّي كُلَّ النَّاسِ، بَل وَلَا قَلِيلًا مِنَ النَّاسِ، وَلَكِن هُنَا شَيءٌ يُغَطِّي النَّاسَ، وَيَشمَلُ النَّاسَ: وَهُوَ حُسنُ الخُلُقِ، وَهَذَا سَهلٌ عَلَيكَ، بَشَاشَةُ الوَجهِ، وَطَلَاقَةُ الوَجهِ، وَحُسنُ الخُلُقِ مَعَ النَّاسِ، تَستَطِيعُ أَن تَتَعَامَلَ مَعَ النَّاسِ كُلِّهِم مِن بَنِي آدَمَ بِحُسنِ الخُلُقِ»[٢]؛ بِبَسطِ الوَجهِ، وَالطَّلَاقَةِ، وَالبَشَاشَةِ، وَلِينِ الجَانِبِ، وَخَفضِ الجَنَاحِ، وَنَحوِ ذَلِكَ مِمَّا يَجلِبُ التَّحَابَّ بَينَكُم.

الحَادِي عَشَرَ: حُسنُ الخُلُقِ يُعَمِّرُ الدِّيَارَ:

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «... **وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسنُ الخُلُقِ، وَحُسنُ الجِوَارِ: يُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الأَعمَارِ**»[٣].

(١) رواه البزار «كشف الأستار» (١٩٧٨)، وحسَّنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦١).
(٢) «تسهيل الإلمام» (٦/ ٣٠٦)، للعلَّامة الفوزان.
(٣) رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٢٤).

فَيَا مَن حَرَصتَ عَلَى طُولِ العُمُرِ وَعِمَارَةِ الدِّيَارِ، سَارِع إِلَى حُسنِ الخُلُقِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ.

الثَّانِي عَشَرَ: حُسنُ الخُلُقِ خَيرُ عَطَاءٍ:

عَن أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا (أَي: الأَعرَابُ): يَا رَسُولَ اللهِ! مَا خَيرُ مَا أُعطِيَ العَبدُ؟ قَالَ: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**»(١).

أَي: مَا مَنَّ اللهُ عَلَى أَحَدٍ بِعَطَاءٍ مِن رِزقٍ، أَو غَيرِهِ؛ خَيرًا مِن خُلُقٍ حَسَنٍ. فَإِذَا كَانَ الإِنسَانُ قَد مَنَّ اللهُ عَلَيهِ بِالخُلُقِ الحَسَنِ؛ فَهَذَا خَيرُ مَا يُعطَاهُ الإِنسَانُ. لِأَنَّ الإِنسَانَ إِنَّمَا يَحُوزُ جَمِيعَ الخَيرَاتِ، وَيَبلُغُ أَقصَى المَنَازِلِ، وَأَنهَى الغَايَاتِ بِحُسنِ الخُلُقِ. وَمَن حُرِمَ حُسنَ الخُلُقِ، فَقَد حُرِمَ الخَيرَ الكَثِيرَ.

الثَّالِثُ عَشَرَ: حُسنُ الخُلُقِ أَفضَلُ الأَعمَالِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا عَمِلَ**

(١) رواه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٧٨٩).

ابنُ آدَمَ شَيئًا أَفضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَصَلَاحِ ذَاتِ البَينِ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمَثُوبَةٌ جَلِيلَةٌ، تَقتَضِي مِن كُلِّ رَاغِبٍ فِي ثَوَابِ اللهِ، وَطَامِعٍ فِيمَا عِندَهُ مِنَ الخَيرِ، أَن يَتَّصِفَ بِحُسنِ الخُلُقِ.

هَذِهِ فَضَائِلُ حُسنِ الخُلُقِ، الَّتِي تَجعَلُ صَاحِبَهَا فِي المَرَاتِبِ العَالِيَةِ، وَالأَوصَافِ الجَمِيلَةِ الحَمِيدَةِ.

فَلنَجتَهِد فِي تَحسِينِ أَخلَاقِنَا، لِنُحرِزَ تِلكَ الفَضَائِلَ العَظِيمَةَ وَالدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةَ وَالأُجُورَ الوَفِيرَةَ، فَقَد صَدَقَ مَن قَالَ:

لَو أَنَّنِي خُيِّرتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ
مَا اختَرتُ غَيرَ مَحَاسِنِ الأَخلَاقِ(٢)

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٣)، وصححه بشاهده الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٤٤٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٥٨): عن أبي جعفر القرشي من قوله.

فَوَائِدُ حُسنِ الخُلُقِ

حُسنُ الخُلُقِ عَمَلٌ جَلِيلُ القَدرِ، وَعَظِيمُ الأَثَرِ، وَكَثِيرُ النَّفعِ، يَنتُجُ عَنهُ أَقوَالٌ وَأَفعَالٌ جَمِيلَةٌ وَثِمَارٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنهَا مَا هُوَ فِي الدُّنيَا، وَمِنهَا مَا يَكُونُ فِي الآخِرَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا يَكُونُ فِي الآخِرَةِ أَعظَمُ وَأَجَلُّ، فَمَا استُجلِبَ خَيرُ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ بِمِثلِ حُسنِ الخُلُقِ، وَلَا استُجلِبَ حِرمَانُهَا بِمِثلِ سُوءِ الخُلُقِ.

وَلَقَد ذَهَبَ حُسنُ الخُلُقِ بِخَيرَيِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ.

فَمِن ثِمَارِ حُسنِ الخُلُقِ فِي الدُّنيَا:

۞ **أَوَّلًا: أَنَّهُ امتِثَالٌ لِأَمرِ اللهِ**، الَّذِي هُوَ غَايَةُ سَعَادَةِ العَبدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَلَيسَ لِلعَبدِ فِي دُنيَاهُ وَآخِرَتِهِ أَنفَعُ مِنَ امتِثَالِ أَوَامِرِ رَبِّهِ ﷻ، وَمَا سَعِدَ مَنْ سَعِدَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا بِامتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَمَا شَقِيَ مَنْ شَقِيَ فِي

الدُّنيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا بِتَضيِيعِ أَوَامِرِهِ(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

جَمَعَ اللهُ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ «فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمَ كُلَّهَا، فَإِنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ لَهُ مَعَ الرَّعِيَّةِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ: فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حَقٍّ عَلَيْهِمْ يَلْزَمُهُمُ الْقِيَامُ بِهِ، وَأَمْرٍ يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَفْرِيطٍ وَعُدْوَانٍ يَقَعُ مِنْهُمْ فِي حَقِّهِ، فَأُمِرَ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِمْ مَا طَوَّعَتْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ وَسَمَحَتْ بِهِ، وَسَهُلَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَشُقَّ، وَهُوَ الْعَفْوُ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُمْ بِبَذْلِهِ ضَرَرٌ وَلَا مَشَقَّةٌ، وَأُمِرَ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْعُرْفِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ، وَالْفِطَرُ الْمُسْتَقِيمَةُ، وَتُقِرُّ بِحُسْنِهِ وَنَفْعِهِ، وَإِذَا أَمَرَ بِهِ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَيْضًا لَا بِالْعُنْفِ وَالْغِلْظَةِ. وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَابِلَ جَهْلَ الْجَاهِلِينَ مِنْهُمْ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ، دُونَ أَنْ يُقَابِلَهُ بِمِثْلِهِ، فَبِذَلِكَ يَكْتَفِي شَرَّهُمْ»(٢).

(١) «الداء والدواء» (ص٢٧٥).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ١٦٢).

۞ **ثَانِيًا: أَنَّهُ طَاعَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ**، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(١)].

۞ **ثَالِثًا: أَنَّهُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ مِن أَفضَلِ العِبَادَاتِ** «تَتَنَاوَلُ مِن زَمَانِ العَبدِ وَقتًا طَوِيلًا، وَهُوَ فِي رَاحَةٍ وَنَعِيمٍ، مَعَ حُصُولِ الأَجرِ العَظِيمِ»[(٢)].

۞ **رَابِعًا:** وَبِهِ يَتَمَكَّنُ المُنَاظِرُ وَالمُخَاصِمُ مِن إِبدَاءِ حُجَّتِهِ، وَفَهمِ حُجَّةِ صَاحِبِهِ، وَيَستَرشِدُ بِذَلِكَ إِلَى الصَّوَابِ قَولًا وَعَمَلًا، وَكَمَا أَنَّهُ سَبَبٌ لِهَذَينِ الأَمرَينِ فِي نَفسِهِ، فَهُوَ مِن أَقوَى الدَّوَاعِي لِحُصُولِهِمَا لِمَن خَاصَمَهُ أَو نَاظَرَهُ[(٣)].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعطِي عَلَى الرِّفقِ مَا لَا يُعطِي عَلَى العُنفِ، وَمَا لَا يُعطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[(٤)].

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٣).
(٢) «المجموعة الكاملة» (٧/ ٤٥٩).
(٣) المصدر السابق (٧/ ٤٦٠).
(٤) رواه مسلم (٢٥٩٣).

۞ **خَامِسًا:** وَبِالخُلُقِ الحَسَنِ يَسلَمُ العَبدُ مِن مَضَارِّ العَجَلَةِ وَالطَّيشِ: لِرَزَانَتِهِ وَصَبرِهِ، وَنَظَرِهِ لِكُلِّ مَا يُمكِنُ مِنَ الِاحتِمَالَاتِ، وَتَجَنُّبِ مَا يُخشَى ضَرَرُهُ.

۞ **سَادِسًا:** وَبِالخُلُقِ الحَسَنِ يُتَمَكَّنُ مِنَ الوَفَاءِ بِالحُقُوقِ الوَاجِبَةِ وَالمُستَحَبَّةِ مَعَ الأَهلِ وَالأَولَادِ، وَالأَقَارِبِ وَالأَصحَابِ، وَالجِيرَانِ وَالمُعَامِلِينَ، وَسَائِرِ مَن بَينَهُ وَبَينَهُ مُخَالَطَةٌ أَو حَقٌّ، فَكَم مِن حُقُوقٍ أُضِيعَت مِن جَرَّاءِ سُوءِ الخُلُقِ؟!

۞ **سَابِعًا:** وَإِنَّ حُسنَ الخُلُقِ لَيَدعُو إِلَى صِفَةِ الإِنصَافِ، فَإِنَّ صَاحِبَ الخُلُقِ الحَسَنِ يَسلَمُ غَالِبًا مِنَ الِانتِصَارِ لِنَفسِهِ، وَالتَّعَصُّبِ لِقَولِهِ، لِأَنَّ الِانتِصَارَ لِلنَّفسِ وَالتَّعَصُّبَ يَحمِلُ عَلَى الِاعتِسَافِ وَعَدَمِ الإِنصَافِ[(١)].

۞ **ثَامِنًا: كَسبُ القُلُوبِ:** صَاحِبُ الخُلُقِ الحَسَنِ يَسهُلُ عَلَيهِ إِدرَاكُ المَطَالِبِ، وَتَلِينُ لَهُ بِرِفقِهِ

(١) «المجموعة الكاملة» (٧/ ٤٦٠).

وَتَحَبُّبِهِ إِلَى الخَلقِ المَصَاعِبُ[١]. فَإِذَا حَسُنَت أَخلَاقُ الإِنسَانِ كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ، فَتَسَهَّلَت عَلَيهِ الأُمُورُ الصِّعَابُ، وَلَانَت لَهُ القُلُوبُ الغِضَابُ[٢]، وَلَهَجَتِ الأَلسِنَةُ بِالثَّنَاءِ عَلَيهِ.

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَهلُ الجَنَّةِ مَن مَلَأَ اللهُ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ خَيرًا، وَهُوَ يَسمَعُ؛ وَأَهلُ النَّارِ مَن مَلَأَ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسمَعُ**»[٣].

كَأَنَّهُ يَقُولُ: مَن لَا يَزَالُ يَعمَلُ الخَيرَ حَتَّى يَنتَشِرَ عَنهُ فِي النَّاسِ، فَيُثنُونَ عَلَيهِ بِأَفعَالِهِ الحَسَنَةِ وَأَخلَاقِهِ الحَمِيدَةِ، وَلَا يَزَالُ يَفعَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَنتَشِرَ عَنهُ فِي النَّاسِ، فَيُثنُونَ عَلَيهِ بِأَفعَالِهِ السَّيِّئَةِ، وَأَخلَاقِهِ السَّيِّئَةِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «**وَهُوَ يَسمَعُ**»، أَي: يَبلُغُهُ ذَلِكَ الثَّنَاءُ وَيَسمَعُهُ لِانتِشَارِهِ فِي النَّاسِ.

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ٤٢٣).
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٣٧).
(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٧٤٠).

بِمَكَارِمِ الأَخلَاقِ كُن مُتَخَلِّقًا، تَنَل ذِكرًا جَمِيلًا.

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّكُم إِلَيَّ أَحَاسِنُكُم أَخلَاقًا، المُوَطَّؤُونَ أَكنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ**»[١].

هَذَا مَثَلٌ، وَحَقِيقَتُهُ مِنَ التَّوْطِئَةِ: وَهِيَ التَّمهِيدُ وَالتَّذلِيلُ. وَفِرَاشٌ وَطِيءٌ: لَا يُؤذِي جَنْبَ النَّائِمِ. وَالأَكْنَافُ: الجَوَانِبُ. أَرَادَ الَّذِينَ جَوَانِبُهُم وَطِيئَةٌ، يَتَمَكَّنُ فِيهَا مَن يُصَاحِبُهُم، وَلَا يَتَأَذَّى[٢].

وَمَعنَاهُ: أَنَّ مِن صِفَةِ المُؤمِنِ: سُهُولَةَ الطَّبعِ، وَالتَّبَاعُدَ عَنِ الغِلظَةِ وَالفَظَاظَةِ، فَهُوَ لِحُسنِ سَيرِهِ: يَأْلَفُ النَّاسَ، وَالنَّاسُ تَأْلَفُهُ[٣].

❀ **تَاسِعًا: السَّلَامَةُ مِن شَرِّ الخَلقِ:** لِأَنَّ صَاحِبَ الخُلُقِ الحَسَنِ لَا يُقَابِلُ الإِسَاءَةَ بِالإِسَاءَةِ، بَل يَعفُو وَيَصفَحُ وَيُعرِضُ عَن مَن جَهَلَ عَلَيهِ، بَل رُبَّمَا قَابَلَ الإِسَاءَةَ

(١) رواه الطبراني في «الصغير» (٨٣٥)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٨).
(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٠١).
(٣) «شرح كتاب الشهاب» (ص٢٦٩).

بِالإِحسَانِ، وَلَوَ جَارَى النَّاسَ فِي سَفَهِهِم، لَمَا كَانَ لَهُ فَضلٌ عَلَيهِم، وَلَمَا سَلِمَ مِن أَذَاهُم؛ فَلَو لَم يَأتِ مِن حُسنِ الخُلُقِ إِلَّا هَذِهِ الفَائِدَةُ، لَكَانَ حَرِيًّا بِالعَاقِلِ أَن يَتَحَلَّى بِهِ.

لَا تَندَم عَلَى حُسنِ الخُلُقِ، وَلَو أَسَاءَ إِلَيكَ النَّاسُ؛ فَلَأَن تُحسِنَ وَيُسِيؤُوا، خَيرٌ مِن أَن تُسِيءَ وَيُسِيؤُوا.

قَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي قَولِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفُرقَان: ٦٣]، قَالَ: بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۝٦٣﴾ قَالَ: إِن جُهِلَ عَلَيهِ سَلَّمَ، وَإِن أُسِيءَ إِلَيهِ أَحسَنَ، وَإِن حُرِمَ أَعطَى، وَإِن قُطِعَ وَصَلَ[1].

وَعَن جَابِرِ بنِ سُلَيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **وَإِنِ امرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِأَمرٍ يَعلَمُهُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرهُ بِأَمرٍ تَعلَمُهُ فِيهِ، فَيَكُونَ لَكَ أَجرُهُ وَعَلَيهِ إِثمُهُ، وَلَا تَشتِمَنَّ أَحَدًا**»[2].

(١) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٦) بسند حسن.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٦٣)، وأبو داود (٤٠٨٤). وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٨٢).

فَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ هَدَى أُمَّتَهُ، وَتَابَعَ إِنْذَارَهَا، وَقَطَعَ أَعْذَارَهَا، وَأَوْصَلَ تَأْدِيبَهَا، وَحَفِظَ تَهْذِيبَهَا، وَجَعَلَ لِكُلِّ عَصْرٍ حَظًّا مِنْ زَوَاجِرِهِ، وَنَصِيبًا مِنْ أَوَامِرِهِ.

أَعَانَنَا اللهُ عَلَى قَبُولِهَا بِالْعَمَلِ، وَعَلَى اسْتِدَامَتِهَا بِالتَّوْفِيقِ[1].

۞ عَاشِرًا: حُسنُ الخُلُقِ جَمَالٌ فِي الدُّنيَا:

لَا يَختَلِفُ اثنَانِ عَلَى أَنَّ الخُلُقَ الحَسَنَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ جَمَالٌ يُزَيِّنُ صَاحِبَهُ.

لَيسَ الجَمَالُ بِأَثوَابٍ تُزَيِّنُنَا
إِنَّ الجَمَالَ جَمَالُ الخُلُقِ[2]
لِكُلِّ شَيءٍ زِينَةٌ فِي الوَرَى
وَزِينَةُ المَرءِ حُسنُ الخُلُقِ[3]

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٤٢).

(٢) يُنسَب إلى علي بن أبي طالب، كما في «ديوانه» (ص١٦)؛ لكن وقع عنده في الشطر الثاني: «جَمَالُ العَقلِ وَالأَدَبِ»، بدل: «جَمَالُ الخُلُقِ».

(٣) أورده الأَبشيهيُّ في «المُستَطرَف» (١/ ٢٤)، وعزاه إلى بعض الشعراء دون تعيين؛ لكن وقع عنده في الشطر الثاني: «تَمَامُ الأَدَبِ»، بدل: «حُسنُ الخُلُقِ».

وَإِنَّ المُتَّصِفَ بِحُسنِ الخُلُقِ، كَالجَوهَرِ المَكنُونِ فِي الوِعَاءِ، وَلَن يَتَزَيَّنَ إِنسَانٌ بِزِينَةٍ هِيَ أَبهَى وَلَا أَجمَلُ مِن حُسنِ الخُلُقِ؛ فَلَا يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَيَّنَهُ وَجَمَّلَهُ وَحَسَّنَهُ، وَلَا يُنزَعُ مِن شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ وَعَابَهُ وَقَبَّحَهُ.

وَهَل يَنفَعُ الفِتيَانَ حُسنُ وُجُوهِهِمُ
إِذَا كَانَتِ الأَخلَاقُ غَيرَ حِسَانِ[1]

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَمَا الحُسنُ فِي وَجهِ الفَتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَم يَكُن فِي فِعلِهِ وَالخَلَائِقِ[2]

الحَادِي عَشَرَ: صَاحِبُ الخُلُقِ الحَسَنِ مِفتَاحٌ لِلخَيرِ مِغلَاقٌ لِلشَّرِّ: إِنَّهُ يَسعَى فِي الخَيرِ بِحَسَبِ إِمكَانِهِ، وَيَحُثُّ عَلَى الجُودِ وَالكَرَمِ وَالسَّمَاحَةِ، وَيَتَنَوَّعُ فِي فِعلِ المَعرُوفِ فِي بَدَنِهِ وَقَولِهِ وَمَالِهِ، وَيُعِينُ العِبَادَ فِي مَقَالِهِ وَحَالِهِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ.

(١) «ربيع الأبرار» (٢/ ١٨٥) للزمخشري؛ لكن وقع عنده في الشطر الثاني: «الأعراض»، بدل: «الأخلاق».
(٢) «ديوان المتنبي» (٢/ ٣٢٠).

عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلخَيرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلخَيرِ، فَطُوبَى لِمَن جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيرِ عَلَى يَدَيهِ، وَوَيلٌ لِمَن جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيهِ**»[1].

وَعَنهُ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَلعَبُ مَعَ الغِلمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَينَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبطَأتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئتُ قَالَت: مَا حَبَسَكَ؟ قُلتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلتُ: إِنَّهَا سِرٌّ؟ قَالَتَ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا[2].

انظُر كَيفَ كَانَتِ الأُمَّهَاتُ المُسلِمَاتُ يُرَبِّينَ أَبنَاءَهُنَّ عَلَى تَقوَى اللهِ وَحِفظِ أَسرَارِ الخَلقِ، إِنَّهَا تَقُولُ لَهُ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا.

فَلنَنظُر لِرِجَالِنَا وَنِسَائِنَا وَأَبنَائِنَا: كَيفَ هُم وَحِفظَ

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٧)، وحسنه الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٣٣٢).
(٢) رواه مسلم (٢٤٨٢).

الأَسرَارِ؟! ثُمَّ لنَبكِ الدُّمُوعَ!

كَم مِن أَسرَارٍ أَصبَحَت أَخبَارًا! وَكَم مِنَ الأَسرَارِ صَارَت قَصَصًا، رَآهَا النَّاسُ مِن أَحسَنِ القَصَصِ! فَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ[1].

❀ **الثَّانِي عَشَرَ: حَسَنُ الخُلُقِ تُحرَمُ النَّارُ عَلَيهِ:**

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَن كَانَ سَهلًا لَيِّنًا قَرِيبًا، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»[2].

❀ **الثَّالِثُ عَشَرَ: الخُلُقُ الحَسَنُ: رِفعَةٌ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ:** قِيمَةُ المَرءِ بِأَخلَاقِهِ وَسَجَايَاهُ الحَمِيدَةِ، وَفِي الأَخلَاقِ العِزَّةُ وَالكَرَامَةُ لِمَن يَتَحَلَّى بِهَا، فَمَا أَكثَرَ الَّذِينَ رَفَعَتهُم أَخلَاقُهُمُ الطَّيِّبَةُ فِي أَوسَاطِ مُجتَمَعِهِم! وَلَم يَكُن لَهُم مَالٌ أَوَ عِلمٌ أَوَ جَاهٌ، وَمَا أَكثَرَ الَّذِينَ أَخزَاهُم سُوءُ أَخلَاقِهِم! فَرُبَّ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُلُقُهُ، وَرُبَّ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ خُلُقُهُ. فَمَا ارتَفَعَ مَنِ ارتَفَعَ

(١) «حصائد الألسن» (ص ٩٢ - ٩٣).

(٢) رواه أبو يعلى (٥٠٦٠)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٩٣٨).

إِلَّا بِالخُلُقِ الحَسَنِ. **فَمِن سَعَادَةِ المَرءِ:** حُسنُ الخُلُقِ، **وَمِن شَقَاوَتِهِ:** سُوءُ الخُلُقِ.

❀ **الرَّابِعُ عَشَرَ: صَاحِبُ الخُلُقِ الحَسَنِ مُستَرِيحُ القَلبِ:** لِأَنَّهُ «قَد وَطَّنَ نَفسَهُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنَ النَّاسِ مِنَ الأَذَى، وَقَد وَطَّنَ نَفسَهُ أَيضًا عَلَى إِيصَالِ النَّفعِ إِلَيهِم بِكُلِّ مَقدُورِهِ، وَقَد تَمَكَّنَ مِن إِرضَاءِ الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالنَّظِيرِ، وَقَد تَحَمَّلَ مَن لَا تَحمِلُهُ مِن ثِقَلِهِ الجِبَالُ، وَقَد خَفَّت عَنهُ الأَثقَالُ، وَقَدِ انقَلَبَ عَدُوُّهُ صَدِيقًا حَمِيمًا، وَقَد أَمِنَ مِن فَلَتَاتِ الجَاهِلِينَ وَمَضَرَّةِ الأَعدَاءِ أَجمَعِينَ، وَقَد سَهُلَ عَلَيهِ مَطلُوبُهُ مِنَ النَّاسِ، وَتَيَسَّرَ لَهُ نُصحُهُم وَإِرشَادُهُم»[1].

وَكَذَلِكَ مَن آذَاهُ الخَلقُ بِالأَقوَالِ البَشِعَةِ وَصَانَ لِسَانَهُ عَن مُشَاتَمَتِهِم، وَدَافَعَ عَن نَفسِهِ بِرِفقٍ وَلِينٍ، اندَفَعَ عَنهُ مِن أَذَاهُم مَا لَا يَندَفِعُ بِمُقَابَلَتِهِم بِمِثلِ مَقَالِهِم وَفِعَالِهِم، **وَمَعَ ذَلِكَ:** فَقَد كَسَبَ الرَّاحَةَ وَالطُّمَأنِينَةَ وَالرَّزَانَةَ وَالحِلمَ[2].

(١) «مجموع الفوائد» (ص ١١٣).

(٢) «المجموعة الكاملة» (٣/ ٢٤٥).

فَمَا أَطيَبَ عَيشَهُ! وَمَا أَنعَمَ بَالَهُ! وَمَا أَقَرَّ عَينَهُ![1]

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَسِعِ النَّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنٍ
لَم يَضِقْ شَيءٌ عَلَى حُسنِ الخُلُقْ[2]

وَبِالجُملَةِ: فَإِنَّ صَاحِبَ الخُلُقِ الحَسَنِ لَهُ التَّأثِيرُ العَظِيمُ فِي حُصُولِ المُرَادِ مِن أَقوَالٍ وَأَفعَالٍ، وَلَهُ الوَقعُ الكَبِيرُ فِي التَّحَبُّبِ إِلَى النَّاسِ، وَإِزَالَةِ مَا فِي قُلُوبِهِم مِن بُغضٍ وَغِلٍّ وَحِقدٍ، وَجَلبِ خَوَاطِرِهِم إِلَى مَطلُوبِكَ الدِّينِيِّ وَالدُّنيَوِيِّ.

فَحَرِيٌّ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَن يُرَاجِعَ نَفسَهُ: هَل هُوَ حَسَنُ الخُلُقِ أَم سَيِّئُ الخُلُقِ؟ فِي البَيتِ وَالمَسجِدِ وَالسُّوقِ، وَالشَّارِعِ وَالعَمَلِ وَنحوِ ذَلِكَ.

۞ الخَامِسُ عَشَرَ: السَّلَامَةُ مِنَ النِّفَاقِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٩٦).
(٢) «ديوان أبي العتاهية» (ص٢٨٦).

«**خَصلَتَانِ لَا تَجتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسنُ سَمتٍ، وَلَا فِقهٌ فِي الدِّينِ**»[1].

قَولُهُ: «**حُسنُ سَمتٍ**» أَي: حُسنُ خُلُقٍ وَسِيرَةٍ وَطَرِيقَةٍ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: وَهَذِهِ شَهَادَةٌ بِأَنَّ مَن اجتَمَعَ فِيهِ حُسنُ السَّمتِ وَالفِقهُ فِي الدِّينِ فَهُوَ مُؤمِنٌ... فَإِنَّ حُسنَ السَّمتِ وَالفِقهَ فِي الدِّينِ مِن أَخَصِّ عَلَامَاتِ الإِيمَانِ، وَلَن يَجمَعَهُمَا اللهُ فِي مُنَافِقٍ؛ فَإِنَّ النِّفَاقَ يُنَافِيهِمَا وَيُنَافِيَانِهِ[2].

هَذِهِ فَوَائِدُ حُسنِ الخُلُقِ، وَهِيَ مُوجِبَةٌ «لِلأَحوَالِ السَّنِيَّةِ، وَالأَقوَالِ وَالأَعمَالِ المَرضِيَّةِ، وَلِلدَّرَجَاتِ فِي جِوَارِ خَالِقِ البَرِيَّةِ فِي العِيشَةِ الهَنِيَّةِ[3].

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٤)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٧٨).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٨٤).
(٣) «شجرة المعارف والأحوال» (ص٧٦ - ٧٧).

عَوَاقِبُ سُوءِ الخُلُقِ

سُوءُ الأَخلَاقِ إِثمُهُ كَبِيرٌ، وَمَفَاسِدُهُ عَظِيمَةٌ. وَيَنتُجُ عَنهُ أَقوَالٌ وَأَفعَالٌ قَبِيحَةٌ.

فَمَن زَرَعَ خَيرًا بِقَولِهِ وَفِعلِهِ حَصَدَ الكَرَامَةَ. وَمَن زَرَعَ شَرًّا حَصَدَ النَّدَامَةَ.

عَن أَبِي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ خَلِيلِي أَبَا القَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**كَمَا لَا يُجتَنَى مِنَ الشَّوكِ العِنَبُ، لَا يَنزِلُ الفُجَّارُ مَنَازِلَ الأَبرَارِ، وَهُمَا طَرِيقَانِ: فَأَيُّهُمَا أَخَذتُم، أَدَّتكُم إِلَيهِ**»(١).

فمن عَوَاقِبِ سُوءِ الخُلُقِ:

☼ **سُوءُ الخُلُقِ يُفسِدُ الأَعمَالَ وَيُفسِدُ الأَحوَالَ:**

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «الأمثال» (١٢٢)، وحسنه الألباني رحمه الله بمجموع طريقيه في «الصحيحة» (٢٠٤٦).

وَيَكفِي فِي سُوءِ الخُلُقِ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ يَدعُونَ اللهَ فَلَا يُستَجَابُ لَهُم: رَجُلٌ كَانَت تَحتَهُ امرَأَةٌ سَيِّئَةُ الخُلُقِ فَلَم يُطَلِّقهَا، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ مَالٌ فَلَم يُشهِد عَلَيهِ، وَرَجُلٌ آتَى سَفِيهًا مَالَهُ، وَقَد قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]**»(١).

لِأَنَّ سَيِّئَةَ الخُلُقِ تُنَكِّدُ العَيشَ وَتُفسِدُ الذُّرِّيَّةَ.

عَن بَعضِ أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفسِدُ العَمَلَ، كَمَا يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ**»(٢).

فَهُوَ كَالسُّوسِ الَّذِي يَنخِرُ الأُسُسَ. وَلِهَذَا لَا يَجتَمِعُ فِي مُؤمِنٍ سُوءُ الخُلُقِ.

عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَصلَتَانِ لَا تَجتَمِعَانِ فِي مُؤمِنٍ:**

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٠٢) رقم (٣١٨١)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٨٠٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٣٦)، وحسنه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٩٠٦).

البُخلُ وَسُوءُ الخُلُقِ»[١].

وَالمَعنَى: أَنَّهُمَا لَا يَكُونَانِ طَبعًا فِي المُؤمِنِ[٢].

فَالبُخلُ وَسُوءُ الخُلُقِ يُنَافِي أَخلَاقَهُ، فَإِنَّ المُؤمِنَ طَيِّبُ المَعشَرِ طَيِّبُ الخُلُقِ.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المُؤمِنُ مَألَفَةٌ، وَلَا خَيرَ فِيمَن لَا يَألَفُ وَلَا يُؤلَفُ**»[٣] مَألَفَةٌ: يَعنِي مَوضِعٌ لِلأُلفَةِ، وَمَوضِعٌ لِلاِجتِمَاعِ؛ فَالمُؤمِنُ يَجتَمِعُ عَلَيهِ الإِخوَانُ، وَيَجمَعُ بَينَ الإِخوَانِ، وَيُؤَلِّفُ بَينَهُم؛ سَمَّاهُ مَألَفَةً، لِأَنَّهُ مَوضِعُ الِائتِلَافِ، وَمَوضِعُ الِاجتِمَاعِ. هَكَذَا صِفَةُ أَهلِ الإِيمَانِ: فَإِنَّهُ لَا يُفَرِّقُ، بَل يَجمَعُ القُلُوبَ، وَيُقَارِبُ بَينَهَا؛ وَ يَجتَهِدُ فِي الإِصلَاحِ، فَلَا يَهدَأُ لَهُ بَالٌ

(١) رواه الترمذي (١٩٦٢)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٠٨).
(٢) «شرح كتاب الشهاب» (ص٤٤٩).
(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٣٥)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٤٢٥).

وَلَا يَطمَئِنُّ، حَتَّى يَجتَمِعَ إِخوَانُهُ إِذَا كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ.

✡ سَيِّئُ الخُلُقِ يُبغِضُهُ الرَّسُولُ ﷺ:

عَن أَبِي ثَعلَبَةَ الخُشَنِيِّ ﷺ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَإِنَّ أَبغَضَكُم إِلَيَّ، وَأَبعَدَكُم مِنِّي فِي الآخِرَةِ: أَسوَؤُكُم أَخلَاقًا**»[١].

فَهَل تُرِيدُ أَيُّهَا المُسلِمُ أَن تَكُونَ مَبغُوضًا مِن قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ وَهَل تُرِيدُ أَن تَكُونَ بَعِيدًا عَنهُ وَمِنهُ يَومَ القِيَامَةِ؟!

✡ سَيِّئُ الخُلُقِ يُبغِضُهُ اللهُ:

عَن أَبِي الدَّردَاءِ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُبغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**»[٢].

وَكُلُّ خَصلَةٍ قَبِيحَةٍ فَهِيَ فَاحِشَةٌ؛ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ.

(١) رواه أحمد (٤/ ١٩٣)، وابن حبان (٥٥٥٧) - واللفظ له -. وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦٢).
(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٤١).

وَالبَذِيُّ: هُوَ الفَاحِشُ فِي قَولِهِ، وَبَذَا الرَّجُلُ: إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ، وَالبَذَاءُ: الكَلَامُ القَبِيحُ.

☼ سَيِّئُ الخُلُقِ هُوَ مَن مَلَأَ اللهُ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسمَعُهُ:

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَهلُ الجَنَّةِ مَن مَلَأَ اللهُ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ خَيرًا، وَهُوَ يَسمَعُ؛ وَأَهلُ النَّارِ مَن مَلَأَ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسمَعُ**»(١).

☼ سَيِّئُ الخُلُقِ؛ النَّاسُ مِنهُ فِي بَلَاءٍ، وَهُوَ مِن نَفسِهِ فِي عَنَاءٍ:

فَخَيرُهُ مَمنُوعٌ، وَشَرُّهُ غَيرُ مَأمُونٍ، وَلَيسَ لَهُ أَقَلُّ صَبرٍ عَلَى مَا يَنَالُهُ مِنَ المُكَدِّرَاتِ.

فَهَذَا قَد تَنَغَّصَت عَلَيهِ حَيَاتُهُ، وَحَضَرَتهُ هُمُومُهُ وَحَسَرَاتُهُ، فَهُوَ فِي عَنَاءٍ حَاضِرٍ، وَيَخشَى مِنَ الشَّقَاءِ الآجِلِ.

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٧٤٠).

وَأَمَّا مُعَاشَرَتُهُ مَعَ أَهلِهِ وَأَولَادِهِ وَمَن يَتَّصِلُ بِهِ، فَإِنَّهُ مَعَهُم فِي نَكَدٍ وَسُوءِ خُلُقٍ مَعَ الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ: يَخرُجُ مِن بَيتِهِ غَضبَانَ، وَيَدخُلُ عَلَى أَهلِهِ وَوَلَدِهِ مُتَكَدِّرًا مَلآنَ، فَأَيُّ حَيَاةٍ لِمَن كَانَت هَذِهِ حَالُهُ؟! وَمَا الَّذِي يَرجُوهُ حَيثُ ضَيَّعَ مَا فِيهِ فَرَحُهُ وَمَسَرَّاتُهُ؟!

وَلَا يَخفَى مَا فِي ذَلِكَ مِن سُوءِ الحَالِ، وَسُقُوطِ الشَّرَفِ، وَتَنَغُّصِ الحَيَاةِ(١).

☼ سَيِّئُ الأَخلَاقِ قُدوَةٌ سَيِّئَةٌ لِغَيرِهِ:

فَمَن كَانَ بَخِيلًا فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِسُوءِ الخُلُقِ، وَقَد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدوَى مِنَ البُخلِ؟!**»(٢).

وَالمَعنَى: أَيُّ عَيبٍ أَقبَحُ مِنَ البُخلِ؟! وَأَيُّ مَرَضٍ أَعظَمُ مِنهُ؟! لَا شَيءَ أَعظَمُ مِنهُ. وَالإِنسَانُ إِذَا أَورَثَ أَولَادَهُ هَذَا الخُلُقَ السَّيِّئَ، فَقَد أَسَاءَ إِلَيهِم إِسَاءَةً مُستَمِرَّةً.

(١) «مجموع مؤلفات العلامة السعدي رحمه الله» (٦/ ١١١ - ١١٢)، طبعة دار الميمان - الرياض.

(٢) قطعة من حديث: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٢٧).

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جَمْعِ المَالِ دَاءً
وَلَا مِثْلَ البَخِيلِ بِهِ مُصَابَا[١]

إِذِ البُخلُ بِئسَ الشِّعَارُ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَشَرُّ مَا يُدَّخَرُ مِنَ الأَعمَالِ فِي العُقبَى[٢].

وَالَّذِي يَكذِبُ يُرَبِّي أَولَادَهُ عَلَى الكَذِبِ، الَّذِي هُوَ أَبغَضُ خُلُقٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «**مَا كَانَ خُلُقٌ أَبغَضَ إِلَى رَسُولِ اللهِ مِنَ الكَذِبِ، وَلَقَد كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ بِالكِذبَةِ؛ فَمَا يَزَالُ فِي نَفسِهِ، حَتَّى يَعلَمَ أَنَّهُ قَد أَحدَثَ مِنهَا تَوبَةً**»[٣].

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

حَرِّضْ بَنِيكَ عَلَى الآدَابِ فِي الصِّغَرِ
كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الكِبَرِ

(١) «الشوقيات» (١/ ٦٩) [ضمن قصيدة ذكرى المولد مطلعها: (سَلُوا قَلبِي)].
(٢) «روضة العقلاء» (ص٢٤٢).
(٣) رواه الترمذي (١٩٧٣)، وصحح إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٦٨).

وَإِنَّمَا مَثَلُ الآدَابِ تَجمَعُهَا
فِي عُنفُوَانِ الصِّبَا كَالنَّقْشِ فِي الحَجَرِ[١]

✡ الأَخلَاقُ السَّيِّئَةُ يَجُرُّ بَعضُهَا بَعضًا:

إِنَّ مُعَامَلَةَ النَّاسِ بِخُلُقٍ سَيِّئٍ بَدَلًا مِنَ الخُلُقِ الحَسَنِ، كَالمُعَامَلَةِ بِالقَسوَةِ بَدَلًا مِنَ الرِّفقِ، أَوِ الغَضَبِ بَدَلًا مِن كَظمِ الغَيظِ، أَوبِالتَّكَبُّرِ بَدَلًا مِنَ التَّوَاضُعِ، أَو بِسُوءِ الظَّنِّ بَدَلًا مِن حُسنِ الظَّنِّ، أَو بِالحَسَدِ بَدَلًا مِنَ الغِبطَةِ، أَو بِالمُقَابَلَةِ بِوَجهٍ عَبُوسٍ بَدَلًا مِنَ المُقَابَلَةِ بِطَلَاقَةِ الوَجهِ، أَو بِالكَلَامِ البَذِيءِ بَدَلًا مِنَ الكَلَامِ الطَّيِّبِ، أَو بِالإِهَانَةِ بَدَلًا مِنَ التَّوقِيرِ وَالاِحتِرَامِ وَالإِكرَامِ، أَوَ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَخلَاقِ السَّيِّئَةِ بَدَلًا مِنَ الأَخلَاقِ الحَسَنَةِ، كُلُّ ذَلِكَ لَهُ عَوَاقِبُ وَخِيمَةٌ عَلَى الفَردِ وَالمُجتَمَعِ، وَهَذِهِ العَوَاقِبُ مُرتَبِطَةٌ بِبَعضِهَا البَعضِ، بِحَيثُ تَتَسَبَّبُ كُلُّ عَاقِبَةٍ فِي حُدُوثِ العَاقِبَةِ الَّتِي تَلِيهَا.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: الأَخلَاقُ الذَّمِيمَةُ يُوَلِّدُ

(١) يُنسَبان إلى علي بن أبي طالب، كما في «ديوانه» (ص ٤٨).

بَعضُهَا بَعضًا، كَمَا أَنَّ الأَخلَاقَ الحَمِيدَةَ: يُوَلِّدُ بَعضُهَا بَعضًا[١].

فَعَوَاقِبُ سُوءِ الخُلُقِ بِمُجمَلِهَا تُؤَدِّي إِلَى تَكَوُّنِ مُجتَمَعٍ مُتَهَالِكٍ هَشٍّ، ضَعِيفِ البُنيَانِ وَالأَركَانِ، مَنزُوعِ الثِّقَةِ، مُنعَدِمِ الأَمنِ، تَسُودُهُ المَخَاوِفُ وَالقَلَاقِلُ وَالفِتَنُ.

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخلَاقُ مَا بَقِيَت
فَإِن هُمُ ذَهَبَت أَخلَاقُهُم ذَهَبُوا[٢]

الخَلَلُ فِي الأَخلَاقِ الحَمِيدَةِ، أَدَّى إِلَى نَتَائِجَ وَخِيمَةٍ.

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَلَيسَ بِعَامِرٍ بُنيَانَ قَومٍ
إِذَا أَخلَاقُهُم كَانَت خَرَابًا[٣]

لَقَد ذَهَبَت أُمَّتُنَا يَومَ ذَهَبَت أَخلَاقُنَا، لِأَجلِ هَذَا:

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (ص٦٥٩ - ٦٦٠).
(٢) و(٣) المشهور أن قائل هذين البيتين: أمير الشعراء أحمد شوقي. وليس هما في ديوانه المطبوع.

إِنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَى إِعَادَةِ بِنَاءِ صَرحِ الأَخلَاقِ لِإِقَامَةِ الأُمَّةِ.

فَبُلُوغُ الآفَاقِ بِسُمُوِّ الأَخلَاقِ.

الأَخلَاقُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ عُنوَانُ مَجدِهَا، وَرَمزُ سَعَادَتِهَا، وَتَاجُ كَرَامَتِهَا، وَشِعَارُ عِزِّهَا وَسِيَادَتِهَا، وَسِرُّ نَصرِهَا وَقُوَّتِهَا.

صَلَاحُ أَمرِكَ لِلأَخلَاقِ مَرجِعُهُ
فَقَوِّمِ النَّفسَ بِالأَخلَاقِ تَستَقِمِ[١]

☼ سُوءُ الخُلُقِ يُغَطِّي غَيرَهُ مِنَ المَحَاسِنِ:

كَم فَاتَ سَيِّئُ الأَخلَاقِ مِن مَطلُوبٍ؟! وَكَم جَلَبَ عَلَيهِ الحُمقُ مِن شَرٍّ مَرهُوبٍ؟![٢]

وَاحذَر مَسَاوِئَ أَخلَاقٍ تُشَانُ بِهَا
وَأَسوَأُ السُّوءِ سُوءُ الخُلُقِ وَالبَخَلِ[٣]

(١) المشهور أن قائل هذا البيت: أمير الشعراء أحمد شوقي. وليس هو في ديوانه المطبوع.
(٢) «المجموعة الكاملة» (٥/ ٤٢٣).
(٣) قاله أحمد الهاشمي في كتابه «جواهر الأدب» (ص٨٣٢) [مؤسسة مختار للنشر والتوزيع].

وَكَـم مِـن فَتًى أَزرَى بِـهِ سُـوءُ خُـلُقِهِ
فَأَصبَحَ مَذمُومًا قَلِيلَ المَحَامِدِ[١]

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

يُغَطِّي عُيُوبَ المَرءِ فِي النَّاسِ جُودُهُ
وَيُخمِلُ ذِكرَ النَّابِهِ البُخلُ فَابعِدِ[٢]

وَقَالَ يَحيَى بنُ أَكثَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُظهِرُ عَيبَ المَرءِ فِي النَّاسِ بُخلُهُ
وَيَستُرُهُ عَنهُم جَمِيعًا سَخَاؤُه[٣]

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

تَزِينُ الفَتَى أَخلَاقُهُ وَتَشِينُهُ
وَتُذكَرُ أَفعَالُ الفَتَى حَيثُ لَا يَدرِي[٤]

(١) ذكره المناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٦١)، من كلام أحد الشعراء.
(٢) «الألفية في الآداب الشرعية» (ص٨٤).
(٣) «روضة العقلاء» (ص٢٣٧).
(٤) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٠٠).

☼ سُوءُ الخُلُقِ يُؤَدِّي إِلَى دُخُولِ النَّارِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفعَلُ، وَتَصَّدَّقُ، وَتُؤذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا خَيرَ فِيهَا، هِيَ مِن أَهلِ النَّارِ**»[١].

هَذَا يَدُلُّ عَلَى خُطُورَةِ حَصَائِدِ الأَلسِنَةِ، وَأَنَّ الصِّيَامَ وَالقِيَامَ قَد لَا يَمحُوَانِ إِيذَاءَ الجَارِ بِاللِّسَانِ وَنَحوِهِ؛ وَفِيهِ فَضلُ الجَارِ، وَتَعظِيمُ حُقُوقِ العِبَادِ، وَنَفيُ الخَيرِ عَمَّن يُؤذِي جَارَهُ[٢].

وَاعلَم بِأَنَّ حُسنَ الخُلُقِ: عُنوَانُ سَعَادَةِ العَبدِ وَفَلَاحِهِ، وَسُوءُ الخُلُقِ: عُنوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ.

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٩٠).
(٢) «شرح صحيح الأدب المفرد» (١/ ١٤٧).

عِلَاجُ سُوءِ الخُلُقِ

وَحَيثُ كَانَ سُوءُ الخُلُقِ مِن أَسوَإِ الخِصَالِ وَأَخَسِّ الصِّفَاتِ، فَجَدِيرٌ بِمَن يَرغَبُ فِي تَهذِيبِ نَفسِهِ، وَتَطهِيرِ أَخلَاقِهِ مِن هَذَا الخُلُقِ الذَّمِيمِ، أَن يَتَّبِعَ النَّصَائِحَ التَّالِيَةَ:

أَوَّلًا: إِدمَانُ النَّظَرِ فِي فَضَائِلِ حُسنِ الخُلُقِ:

فَإِنَّ حُسنَ الخُلُقِ مِن أَولَى مَا اكتَسَبَتهُ النُّفُوسُ، وَأَجَلِّ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا المُوَفَّقُونَ. وَمَتَى عَلِمَ العَبدُ مَا فِي حُسنِ الخُلُقِ مِنَ الخَيرَاتِ العَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَالعَوَاقِبِ الحَمِيدَةِ وَالآثَارِ الجَمِيلَةِ: مِنَ الثَّوَابِ الجَزِيلِ، وَالأَجرِ الجَمِيلِ، وَالحَظِّ العَظِيمِ، وَالمَقَامِ العَالِي، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، أَتَت نَفسُهُ بِالخُلُقِ الحَسَنِ مُنقَادَةً مُستَحلِيَةً لِثَمَرَاتِهِ.

ثَانِيًا: التَّأَسِّي بِأَخلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ:

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحسَنَ النَّاسِ

خُلُقًا»(١).

قَالَت عَائِشَةُ رضي الله عنها: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ القُرآنَ»(٢).

«مَعنَاهُ: العَمَلُ بِهِ، وَالوُقُوفُ عِندَ حُدُودِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ، وَالِاعتِبَارُ بِأَمثَالِهِ وَقَصَصِهِ، وَتَدَبُّرُهُ وَحُسنُ تِلَاوَتِهِ»(٣).

وَهَذَا أَحسَنُ الأَخلَاقِ وَأَشرَفُهَا وَأَجمَلُهَا.

وَيَكفِي فِي ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم].

«فَعَلَا ﷺ بِخُلُقِهِ العَظِيمِ عَلَى جَمِيعِ الخَلقِ، وَفَاقَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ»(٤).

فَكَانَ ﷺ لَهُ مِن كُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ أَكمَلُهُ وَأَجَلُّهُ، وَهُوَ

(١) رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢٣١٠).
(٢) رواه مسلم (٧٤٦)، ضمن حديث طويل.
(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/ ٣٨ - ٣٩).
(٤) «تيسير اللطيف المنان» (ص٤٥).

فِي كُلِّ خُلُقٍ، فِي الذِّروَةِ العُليَا. فَقَد حَبَاهُ اللهُ بِالأَخلَاقِ الكَرِيمَةِ، وَالخِصَالِ الحَمِيدَةِ.

«فَكَانَ سَهلًا لَيِّنًا، قَرِيبًا مِنَ النَّاسِ، مُجِيبًا لِدَعوَةِ مَن دَعَاهُ، قَاضِيًا لِحَاجَةِ مَنِ استَقضَاهُ، جَابِرًا لِقَلبِ مَن سَأَلَهُ، لَا يَحرِمُهُ، وَلَا يَرُدُّهُ خَائِبًا.

وَإِذَا أَرَادَ أَصحَابُهُ مِنهُ أَمرًا وَافَقَهُم عَلَيهِ، وَتَابَعَهُم فِيهِ إِذَا لَم يَكُن فِيهِ مَحذُورٌ، وَإِن عَزَمَ عَلَى أَمرٍ لَم يَستَبِدَّ بِهِ دُونَهُم، بَل يُشَاوِرُهُم.

وَكَانَ يَقبَلُ مِن مُحسِنِهِم، وَيَعفُو عَن مُسِيئِهِم، وَلَم يَكُن يُعَاشِرُ جَلِيسًا، إِلَّا أَتَمَّ عِشرَةً وَأَحسَنَهَا.

فَكَانَ لَا يَعبِسُ فِي وَجهِهِ، وَلَا يُغلِظُ عَلَيهِ فِي مَقَالِهِ، وَلَا يَطوِي عَنهُ بِشرَهُ، وَلَا يُمسِكُ عَلَيهِ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا يَصدُرُ مِنهُ مِن جَفوَةٍ، بَل يُحسِنُ إِلَيهِ غَايَةَ الإِحسَانِ، وَيَحتَمِلُهُ غَايَةَ الاحتِمَالِ»[1].

فَلنَتَأَسَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلنَجعَل أَخلَاقَنَا القُرآنَ، مَا

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٢٣٨).

استَطَعنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا؛ لِنُؤَثِّرَ فِي أَزوَاجِنَا وَأَهلِينَا وَأَقَارِبِنَا.

ثَالِثًا: مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ:

فَإِنَّ الأَخلَاقَ تَتَرَبَّى بِأَقوَالِهِم وَأَفعَالِهِم، وَإِنَّ الكَمَالَ يَنمُو بِالاقتِدَاءِ بِهِم فِي مَحَاسِنِ أَعمَالِهِم.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنظُرْ أَحَدُكُم مَن يُخَالِلُ**»[1].

يَعنِي: أَنَّ الإِنسَانَ إِذَا صَارَ خَلِيلًا وَمُصَاحِبًا لِإِنسَانٍ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مِثلَهُ فِي أَخلَاقِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ، وَفِي عِبَادَتِهِ. فَعَلَيهِ أَن يَختَارَ الخَلِيلَ الطَّيِّبَ، وَمَن يَكُونُ عَونًا لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَلَا يَختَارَ خَلِيلًا يَكُونُ عَونًا لَهُ عَلَى المَعصِيَةِ، أَو يَجُرُّهُ إِلَى المَعصِيَةِ، أَو يَتَسَبَّبُ فِي انحِرَافِهِ، وَخُرُوجِهِ عَنِ الجَادَّةِ؛ لِأَنَّ أَغلَبَ البَلَاءِ الَّذِي يَحصُلُ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ: إِنَّمَا يَأتِي عَن مُخَالَطَةِ الأَشرَارِ. وَاختِيَارُ الأَخِلَّاءِ وَالأَصدِقَاءِ المُستَقِيمِينَ، هُوَ الَّذِي يَنفَعُ[2].

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٩٢٧).

(٢) «شرح سنن أبي داود للشيخ العباد» (ص١٢٢٧)، بتصرُّف يسير.

عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تُصَاحِب إِلَّا مُؤمِنًا، وَلَا يَأكُل طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»(١).

وَمَعنَى الحَدِيثِ: لَا تَدعُ إِلَى مُؤَاكَلَتِكَ إِلَّا الأَتقِيَاءَ، لِأَنَّ المُؤَاكَلَةَ تُوجِبُ الأُلفَةَ وَتَجمَعُ بَينَ القُلُوبِ. فَتَوَخَّ أَن يَكُونَ خُلَطَاؤُكَ وَذَوُو الاِختِصَاصِ بِكَ أَهلَ التَّقوَى(٢). لِأَنَّ مُجَالَسَةَ الحَرِيصِ وَمُخَالَطَتَهُ تُحَرِّكُ الحِرصَ، وَمُجَالَسَةَ الزَّاهِدِ وَمُخَالَطَتَهُ تُزَهِّدُ فِي الدُّنيَا؛ وَلِأَنَّ الطِّبَاعَ مَجبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالاِقتِدَاءِ، بَلِ الطَّبعُ يَسرِقُ مِنَ الطَّبعِ مِن حَيثُ لَا يَدرِي.

وَرَحِمَ اللهُ القَائِلَ:

وَصَاحِب أُولِي التَّقوَى تَنَل مِن تُقَاهُمُ
وَلَا تَصحَبِ الأَردَى فَتَردَى مَعَ الرَّدِي(٣)

صَاحِب ذَوِي الأَخلَاقِ الفَاضِلَةِ، وَجَانِبِ الأَشرَارَ

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٨٧).
(٢) «العزلة» (ص٥٧)، للخطابي رحمه الله.
(٣) نسبه ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٢/ ٧٠٥)، لعَدِيِّ بن زَيدٍ؛ ولم أره في «ديوانه» المطبوع.

ذَوِي الأَفعَالِ الدَّنِيئَةِ الرَّدِيئَةِ.

قَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ رحمه الله: إِذَا خَالَطتَ النَّاسَ، فَخَالِطِ الحَسَنَ الخُلُقِ، فَإِنَّهُ لَا يَدعُو إِلَّا إِلَى خَيرٍ(١).

وَقَالَ العَلَّامَةُ السِّعدِيُّ رحمه الله:

وَصَاحِب إِذَا صَاحَبتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ
يَقُودُكَ لِلخَيرَاتِ نُصحًا وَيُرشِدُ
وَإِيَّاكَ وَالمَرءَ الَّذِي إِن صَحِبتَهُ
خَسِرتَ خَسَارًا لَيسَ فِيهِ تَرَدُّدُ(٢)

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مِنْ خَيْرِ الاِخْتِيَارِ: صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ، وَمِنْ شَرِّ الاِخْتِيَارِ: مَوَدَّةُ الْأَشْرَارِ، وَهَذَا صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ لِلْمُصَاحَبَةِ تَأْثِيرًا فِي اكْتِسَابِ الْأَخْلَاقِ، فَتَصْلُحُ أَخْلَاقُ الْمَرْءِ بِمُصَاحَبَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَتَفْسُدُ بِمُصَاحَبَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ(٣).

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٣) بسند حسن.
(٢) «مجموع مؤلفات العلامة السعدي» (٦/ ٨٦٨).
(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص١١٢).

رَابِعًا: عَامِلِ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَن يُعَامِلُوكَ بِهِ:

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **فَمَن أَحَبَّ أَن يُزَحزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيَدخُلَ الجَنَّةَ، فَلتَأتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَليَأتِ إِلَى النَّاسِ، الَّذِي يُحِبُّ أَن يُؤتَى إِلَيهِ**»(١).

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَد فَازَ، وَأَنَّ هَذِهِ غَايَةٌ يَسعَى إِلَيهَا جَمِيعُ المُؤمِنِينَ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿**فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ**﴾ [آل عمران: ٥٨١].

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

لَيسَ السَّعِيدُ الَّذِي دُنيَاهُ تُسعِدُهُ
إِنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنجُو مِنَ النَّارِ(٢)

فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ لِدُخُولِ الجَنَّةِ سَبَبَينِ:

(١) رواه مسلم (١٨٤٤).
(٢) «التبصرة» (٢/ ٤٨)، لابن الجوزي رحمه الله.

الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ.

الثَّانِي: مُعَامَلَةُ النَّاسِ كَمَا يُحِبُّ أَن يُعَامِلُوهُ، أَن تَفعَلَ مَعَهُم مَا تُحِبُّ أَن يَفعَلُوهُ مَعَكَ. «فَلَا يُؤذِيهِم، لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَن يُؤذُوهُ؛ وَلَا يَعتَدِي عَلَيهِم، لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَن يَعتَدُوا عَلَيهِ؛ وَلَا يَشتِمُهُم، لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَن يَشتِمُوهُ؛ وَهَلُمَّ جَرًّا. لَا يَغُشُّهُم فِي البَيعِ وَالشِّرَاءِ وَغَيرِ ذَلِكَ، وَلَا يَكذِبُ عَلَيهِم؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَن يُفعَلَ بِهِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ لَو أَنَّ النَّاسَ مَشَوا عَلَيهَا فِي التَّعَامُلِ فِيمَا بَينَهُم، لَنَالُوا خَيرًا كَثِيرًا»(١)، وَيُشبِهُ هَذَا قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفسِهِ**»(٢).

انظُر إِلَى كُلِّ مَا تُحِبُّ أَن تُعَامَلَ بِهِ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَخلَاقِ وَالأَعمَالِ، فَعَامِلهُم بِمِثلِهِ، وَهَذَا مِيزَانٌ لِمَن جُبِلَ عَلَى خُلُقٍ كَرِيمٍ، فَإِنَّ أَخلَاقَهُ الكَرِيمَةَ تُعَرِّفُهُ مَا يَحسُنُ فَيَأتِيهِ إِلَى النَّاسِ، وَمَا يَقبُحُ فَيَقبَحُهُ فِي حَقِّهِم،

(١) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٣٥)، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.
(٢) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

فَيُعَامِلُهُم بِإِتيَانِ مَا يُحِبُّونَ وَاجتِنَابِ مَا يَكرَهُونَ[١].

وَبِذَلِكَ يَزُولُ عَنِ القُلُوبِ جَمِيعُ الأَخلَاقِ الرَّذِيلَةِ: مِنَ الرِّيَاءِ، وَالنِّفَاقِ، وَالعُجبِ، وَمَسَاوِئِ الأَخلَاقِ؛ وَتَتَحَلَّى بِالأَخلَاقِ الجَمِيلَةِ: مِنَ الحُبِّ، وَالإِخلَاصِ[٢] وَالصِّدقِ.

فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ، لَم يَدَع لِلخَيرِ مَطلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهرَبًا.

خَامِسًا: طَلَاقَةُ الوَجهِ مَعَ النَّاسِ:

وَذَلِكَ بِأَن يُقَابِلَهُم بِوَجهٍ مُبتَسِمٍ غَيرِ عَبُوسٍ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ المَعرُوفِ، قَالَ ﷺ: «**لَا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيئًا، وَلَو أَن تَلقَى أَخَاكَ بِوَجهٍ طَلقٍ**»[٣].

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الابتِسَامَةَ مِنَ الصَّدَقَةِ. كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»[٤].

(١) «شجرة المعارف والأحوال» (ص٢٠٤).
(٢) «أصول عظيمة من قواعد الإسلام» (ص٥١)، للعلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) رواه مسلم (٢٦٢٦).
(٤) رواه الترمذي (١٩٥٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٦٢).

الابتِسَامَةُ مِفتَاحٌ لِكَثِيرٍ مِنَ القُلُوبِ المُقفَلَةِ.

«وَذَلِكَ أَنَّ البَشَاشَةَ المُخلِصَةَ الصَّادِرَةَ بِالقَلبِ عَلَى الوَجهِ تُعَبِّرُ عَمَّا يُكِنُّهُ مِن مَحَبَّةٍ وَوِدَادٍ، وَأَنَّهُ فِيهِ بِرُؤيَةِ أَخِيهِ وَاجتِمَاعِهِ بِهِ، وَهِيَ جَذَّابَةٌ لِلقُلُوبِ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ، وَأَيُّ إِحسَانٍ أَبلَغُ مِن هَذَا؟! وَأَمَّا مُجَرَّدُ البَشَاشَةِ الخَالِيَةِ مِنَ الوَجهِ المُتَطَلِّقِ عَنِ القَلبِ؛ فَإِنَّهَا قَلِيلَةُ الجَدوَى»[١].

سَادِسًا: الدُّعَاءُ:

نُوصِي المُسلِمَ بِالإِكثَارِ مِنَ الأَدعِيَةِ التَّالِيَةِ:

- [**اللَّهُمَّ**] **اهدِنِي لِأَحسَنِ الأَخلَاقِ؛ لَا يَهدِي لِأَحسَنِهَا إِلَّا أَنتَ، وَاصرِف عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنتَ**[٢].
- **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن مُنكَرَاتِ الأَخلَاقِ وَالأَعمَالِ وَالأَهوَاءِ**[٣].

(١) «مجموع الفوائد» (ص٢٥٤).
(٢) رواه مسلم (٧٧١).
(٣) رواه الترمذي (٣٥٩١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٧٣).

■ اللَّهُمَّ أَحسَنتَ خَلقِي، فَأَحسِن خُلُقِي[١].

سابعًا: المُجَاهَدَةُ:

حُسنُ الخُلُقِ خَصلَةٌ عَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ، فَالمُجَاهَدَةُ فِي طَلَبِهَا، وَالقِيَامُ بِحَقِّهَا، وَالعِنَايَةُ فِي تَحصِيلِهَا أَيضًا: لَفِعلٌ كَبِيرٌ وَشَأنٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ المَكَارِمَ عَلَى حَسَبِ المَكَارِهِ، وَإِنَّ اللَّذَّاتِ عَلَى حَسَبِ المُؤنَاتِ.

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المُجَاهِدُ مَن جَاهَدَ نَفسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالمُهَاجِرُ مَن هَجَرَ الخَطَايَا وَالذُّنُوبَ**»[٢].

فَيُجَاهِدُ الإِنسَانُ نَفسَهُ عَلَى حَملِهَا عَلَى الخُلُقِ الحَسَنِ، وَكَفِّهَا عَنِ الخُلُقِ الذَّمِيمِ.

لَا بُدَّ مِن أَن نَرتَقِيَ بِأَخلَاقِنَا إِلَى العُلَا، لِنَسمُوَ بِأَنفُسِنَا وَنَسعَدَ بِحَيَاتِنَا!

(١) رواه أحمد (١/ ٤٠٣ رقم ٣٨٢٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٣٠٧).
(٢) رواه أحمد (٦/ ٢١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٥٤٩).

«وَكَيفَ يَحصُلُ الرُّقِيُّ التَّامُّ، وَلَم تَرتَقِ الأَخلَاقُ بِالتَّحَلِّي بِالفَضَائِلِ، وَالتَّخَلِّي عَن جَمِيعِ الرَّذَائِلِ؟!»[١].

فَلَا يَنفَعُ التَّرَقِّي فِي المَادِيَّاتِ، إِذَا هَبَطَتِ الأَخلَاقُ الَّتِي عَلَيهَا المَدَارُ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَهِيَ الَّتِي تُصلِحُ الأَشيَاءَ، وَلَا تَصلُحُ الأُمُورُ بِدُونِهَا، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ مَحسُوسٌ[٢].

ثامنًا: تَكَلُّفُ الأَخلَاقِ الحَسَنَةِ:

عَنْ زَارِعٍ ﷺ - وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ - قَالَ: ثُمَّ أَتَى - أَيْ: الأَشَجُّ - النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمَ وَالأَنَاةَ**». قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا؟ أَم اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «**بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ[٣].

(١) «أصول عظيمة من قواعد الإسلام» (ص٦٤)، للعلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة السِّعدي» (٣/ ٥٠٩)، طبعة دار الميمان - الرياض.
(٣) رواه أبو داود (٥٢٢٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٢٨٢).

وَالأَنَاةُ: «التَّأَنِّي وَالتَّثَبُّتُ، وَتَركُ العَجَلَةِ إِلَى أَن يَتَّضِحَ الصَّوَابُ»(١).

وَفِي الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الخُلُقَ قَد يَحصُلُ بِالتَّخَلُّقِ وَالتَّكَلُّفِ، لِقَولِهِ فِي هَذَا الحَدِيثِ: «أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا؟ أَم اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟»(٢).

فَيَنبَغِي عَلَى الإِنسَانِ أَن يُوَطِّنَ نَفسَهُ عَلَى الأَخلَاقِ الجَمِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ، لِيَنَالَ رِضَى المَولَى ﷻ.

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَمَا المَرءُ إِلَّا حَيثُ يَجعَلُ نَفسَهُ

فَفِي صَالِحِ الأَخلَاقِ نَفسَكَ فَاجعَلِ(٣)

فَمَن أَرَادَ تَحصِيلَ خُلُقِ الجُودِ، فَليَتَكَلَّف فِعلَ الجَوَادِ مِنَ البَذلِ، لِيَصِيرَ ذَلِكَ طَبعًا لَهُ.

وَكَذَلِكَ مَن أَرَادَ التَّوَاضُعَ تَكَلَّفَ أَفعَالَ المُتَوَاضِعِينَ،

(١) «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٣/ ٩٦).
(٢) انظر «زاد المعاد» (٣/ ٦٠٨).
(٣) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٠٠)، لابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ.

وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الأَخلَاقِ المَحمُودَةِ، فَإِنَّ لِلعَادَةِ أَثَرًا فِي ذَلِكَ، وَلِلدَّوَامِ تَأثِيرٌ عَظِيمٌ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا العِلمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الحِلمُ بِالتَّحَلُّمِ؛ وَمَن يَتَحَرَّ الخَيرَ يُعطَهُ، وَمَن يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ**»(١).

وَمِن خِلَالِ هَذَا الحَدِيثِ العَظِيمِ، بِمَا حَمَلَتهُ أَلفَاظُهُ مِن مَقَاصِدَ جَلِيلَةٍ وَقَوَاعِدَ ذَهَبِيَّةٍ: يُعَلِّمُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ الأَخلَاقَ تُكتَسَبُ بِتَعوِيدِ النَّفسِ عَلَيهَا، وَتَدرِيبِهَا عَلَى الأَخلَاقِ الفَاضِلَةِ، كَالجَسَدِ يُخلَقُ نَاقِصًا ثُمَّ يَنمُو وَيَكبُرُ، وَالنَّفسُ تَنضُجُ أَخلَاقِيًّا بِالتَّربِيَةِ وَالمُجَاهَدَةِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

هِيَ الأَخلَاقُ تَنبُتُ كَالنَّبَاتِ

إِذَا سُقِيَت بِمَاءِ المَكرُمَاتِ(٢)

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٧)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٢٣٢٨).
(٢) «ديوان معروف الرصافي» (ص٥٧)؛ ووقع عنده في الشطر الأول: «كَالبَنَاتِ»، بدل: «كَالنَّبَاتِ».

النَّبتَةُ تَحتَاجُ إِلَى مَن يَرعَاهَا، وَيَعتَنِي بِهَا لِتَنمُوَ وَلَا تَمُوتَ.

فَلَو تَدَارَكنَا أَخطَاءَنَا بِتَنمِيَةِ أَخلَاقِنَا، لَقَطَفنَا ثِمَارًا يَانِعَةً، وَلَعَطَّرنَا الأَرضَ بِرَوعَةِ أَزهَارٍ مُزهِرَةٍ، وَلَسَعِدنَا وَأَسعَدنَا وَسَمَونَا.

عَن مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيَانَ رضي الله عنهما: يُحَدِّثُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الخَيرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ**»(١).

وَالمَعْنَى: أَنَّهُ مَن عَوَّدَ نَفسَهُ فِعلَ الخَيرِ، صَارَ عَادَةً، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى الشَّرِّ، وَقَعَ فِي لُجَّتِهِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى هَلَاكِهِ(٢).

ثَانِيًا: عُلُوُّ الهِمَّةِ:

وَكُلُّ «أَحَدٍ يَوَدُّ الِاتِّصَافَ بِحُسنِ الخُلُقِ، لِمَا يُشَاهِدُهُ مِن ثَمَرَاتِهِ الجَلِيلَةِ، وَلَكِن لَا يدرِكُهُ إِلَّا أَهلُ

(١) رواه ابن ماجه (٢٢١)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٢).
(٢) «شرح كتاب الشهاب» (ص٤١).

الهِمَمِ العَالِيَةِ النَّبِيلَةِ»(١).

فَمِن «أَعظَمِ الأَسبَابِ عُلُوُّ الهِمَّةِ، وَرَغبَةُ العَبدِ فِي مَكَارِمِ الأَخلَاقِ، وَأَنَّهَا أَولَى مَا اكتَسَبَتهُ النُّفُوسُ، وَأَجَلُّ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا المُوَفَّقُونَ، فَبِحَسَبِ قُوَّةِ رَغبَتِهِ فِي ذَلِكَ، يَسهُلُ عَلَيهِ نَيلُ هَذَا الخُلُقِ الجَمِيلِ»(٢).

فَالنُّفُوسُ الشَّرِيفَةُ - ذَوَاتُ الأَقدَارِ وَالهِمَمِ - «لَا تَرضَى مِنَ الأَشيَاءِ إِلَّا بِأَعلَاهَا، وَأَفضَلِهَا، وَأَحمَدِهَا عَاقِبَةً، وَالنُّفُوسُ الدَّنِيئَةُ تَحُومُ حَولَ الدَّنَاءَاتِ، وَتَقَعُ عَلَيهَا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ عَلَى الأَقذَارِ؛ فَالنُّفُوسُ الشَّرِيفَةُ العَلِيَّةُ لَا تَرضَى بِالظُّلمِ، وَلَا بِالفَوَاحِشِ، وَلَا بِالسَّرِقَةِ وَالخِيَانَةِ؛ لِأَنَّهَا أَكبَرُ مِن ذَلِكَ وَأَجَلُّ. وَالنَّفسُ المَهِينَةُ الحَقِيرَةُ الخَسِيسَةُ بِالضِّدِّ مِن ذَلِكَ»(٣).

(١) «المجموعة الكاملة» (٥/ ٤٢٤).
(٢) المصدر السابق (٧/ ٤٦١).
(٣) «الفوائد» (ص٣١٣).

فَمَن عَلَت هِمَّتُهُ، وَخَشَعَت نَفسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ؛ وَمَن دَنَت هِمَّتُهُ، وَطَغَت نَفسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ[١].

وَإِذَا شَرُفَتِ النَّفْسُ، كَانَتْ لِلْآدَابِ طَالِبَةً، وَفِي الْفَضَائِلِ رَاغِبَةً[٢].

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ الشَّرِيفِ شَرِيفَةً
وَإِنْ كَانَ ذَا قَدْرٍ فَلَيْسَ لَهُ شَرَفُ[٣].

عَاشِرًا: الصَّبرُ:

عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «... **وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[٤].

فَالصَّبرُ هُوَ المُوصِلُ إِلَى المَطَالِبِ، وَالمُقَرِّبُ

(١) «الفوائد» (ص٢٥٩).
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٣٠٧).
(٣) المصدر السابق (ص١٨٨).
(٤) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

لِلرَّغَائِبِ، فَمَن طَلَبَ خَيرًا، وَصَبَرَ عَلَى استِعمَالِ أَسبَابِهِ، نَالَهُ؛ وَمَن ضَعُفَ عَن طَلَبِهِ، وَعَدَمِ الصَّبرِ، ابتُلِيَ بِفَقدِهِ[١].

فَالصَّبرُ مِنَ الأُسُسِ الأَخلَاقِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيهَا الخُلُقُ الحَسَنُ، فَالصَّبرُ يَحمِلُ عَلَى الِاحتِمَالِ، وَكَظمِ الغَيظِ، وَكَفِّ الأَذَى، وَالحِلمِ، وَالأَنَاةِ، وَالرِّفقِ، وَتَركِ الطَّيشِ وَالعَجَلَةِ.

الحَادِي عَشَرَ: لُزُومُ الصِّدقِ:

فَالصِّدقُ يَهدِي إِلَى البِرِّ، وَحُسنُ الخُلُقِ مِن جُملَةِ ذَلِكَ البِرِّ.

عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيكُم بِالصِّدقِ، فَإِنَّ الصِّدقَ يَهدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدقَ، حَتَّى يُكتَبَ عِندَ اللهِ صِدِّيقًا...**»[٢].

(١) «شرح كتاب الشهاب» (ص١٣٠).
(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم [١٠٥ - (٢٦٠٧)] - واللفظ له -.

الثَّانِي عَشَرَ: المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ:

فَهِيَ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِحُسنِ الخُلُقِ، فَإِنَّهَا تَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ، وَسُوءُ الخُلُقِ مِن جُملَةِ مَا تَنهَى عَنهُ الصَّلَاةُ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: لُزُومُ الحَيَاءِ:

الحَيَاءُ هُوَ مِن أَفضَلِ الأَخلَاقِ وَأَجَلِّهَا، وَأَعظَمِهَا قَدرًا، وَأَكثَرِهَا نَفعًا.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسلَامِ الحَيَاءُ**»(١).

الرَّابِعَ عَشَرَ: إِفشَاءُ السَّلَامِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَ لَا أَدُلُّكُم عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلتُمُوهُ تَحَابَبتُم؟ أَفشُوا السَّلَامَ بَينَكُم**»(٢).

(١) رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٩٤٠).

(٢) رواه مسلم (٥٤).

قَولُهُ: «**أَفشُوا**» مِنَ الإِفشَاءِ، وَهُوَ الإِشَاعَةُ وَالإِكثَارُ، وَفِيهِ الحَثُّ العَظِيمُ عَلَى إِفشَاءِ السَّلَامِ وَبَذلِهِ لِلمُسلِمِينَ كُلِّهِم: مَن عَرَفَهُ وَمَن لَم يَعرِفهُ. وَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسبَابِ التَّآلُفِ، وَمِفتَاحُ استِجلَابِ المَوَدَّةِ، وَمِن إِفشَائِهِ تُمَكَّنُ أُلفَةُ المُسلِمِينَ بَعضِهِم لِبَعضٍ، وَإِظهَارُ شِعَارِهِمُ المُمَيِّزِ لَهُم مِن غَيرِهِم مِن أَهلِ المِلَلِ، مَعَ مَا فِيهِ مِن رِيَاضَةِ النَّفسِ، وَلُزُومِ التَّوَاضُعِ، وَإِعظَامِ حُرُمَاتِ المُسلِمِينَ(١).

وَفِي خِتَامِ الحَدِيثِ عَن عِلَاجِ سُوءِ الخُلُقِ، يَطِيبُ لِي أَن أَختِمَ بِكَلَامٍ فِي غَايَةِ النَّفَاسَةِ.

قَالَ العَلَّامَةُ السِّعدِيُّ رحمه الله: «اعلَم أَنَّ النَّاسَ فِي مُعَاشَرَةِ بَعضِهِم لِبَعضٍ دَرَجَاتٌ فِي الخَيرِ وَالشَّرِّ لَا تَنضَبِطُ دَرَجَاتُهُ، وَأَغلَبُ المُعَاشَرَاتِ قَلِيلَةُ الجَدوَى عَدِيمَةُ الفَائِدَةِ، بَل كَثِيرٌ مِنهَا مُؤَدٍّ إِلَى الخُسرَانِ وَالأَضرَارِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنيَوِيَّةِ.

(١) «العلم الهيِّب» (ص٤٧٧ - ٤٧٨).

وَنَذكُرُ فِي هَذَا المَوضِعِ أَعلَى الأَقسَامِ وَأَنفَعَهَا وَأَبقَاهَا ثَمَرَةً، فَإِن أَدرَكَهَا المُؤمِنُ بِتَوفِيقِ اللهِ وَجِدِّهِ وَاجتِهَادِهِ، فَقَد أَدرَكَ كُلَّ خَيرٍ، وَإِن لَم تَقوَ نَفسُهُ عَلَى بُلُوغِهَا فَليُجَاهِدهَا وَلَو عَلَى بَعضِهَا، وَهِيَ يَسِيرَةٌ عَلَى مَن يَسَّرَهَا اللهُ عَلَيهِ؛ فَأَصلُ ذَلِكَ: أَن تَعتَقِدَ عَزمًا جَازِمًا وَعَقِيدَةً صَادِقَةً عَلَى مَحَبَّةِ جَمِيعِ المُؤمِنِينَ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ فِي هَذِهِ المَحَبَّةِ، وَتَجتَهِدَ عَلَى تَحقِيقِهَا عَلَى وَجهِ العُمُومِ، وَعَلَى وَجهِ الخُصُوصِ، وَعَلى قَلعِ كُلِّ مَا يُضَادُّهَا أَو يُنَاقِضُهَا، فَتَعتَقِدَ أَنَّ تَحَقُّقَ القَلبِ بِمَحَبَّةِ المُؤمِنِينَ عِبَادَةٌ مِن أَجَلِّ العِبَادَاتِ وَأَفضَلِ الطَّاعَاتِ؛ فَتَتَّخِذَ جَمِيعَ المُؤمِنِينَ إِخوَانًا، تُحِبُّ لَهُم مَا تُحِبُّ لِنَفسِكَ مِنَ الخَيرِ، وَتَكرَهُ لَهُم مَا تَكرَهُهُ لِنَفسِكَ مِنَ الشَّرِّ، وَتَفَقَّد قَلبَكَ فِي تَحقِيقِ هَذَا الأَمرِ الجَلِيلِ وَالاِتِّصَافِ بِهِ، وَالاِحتِرَازِ مِن ضِدِّهِ، مِنَ الغِلِّ وَالحِقدِ وَالحَسَدِ، وَالبُغضِ لِأَحَدٍ مِنهُم: وَمَتَى رَأَيتَ مِن قَلبِكَ شَيئًا مِن ذَلِكَ فَبَادِر بِقَلعِهِ؛ وَسَلِ اللهَ أَن لَا يَجعَلَ فِي قَلبِكَ غِلًّا عَلَى أَحَدٍ

مِنَ المُؤمِنِينَ، خَاصَّتِهِم وَعَامَّتِهِم، وَمَيِّز مَن لَهُ فِي الإِيمَانِ مَقَامٌ جَلِيلٌ، كَعُلَمَاءِ المُسلِمِينَ وَعُبَّادِهِم بِزِيَادَةِ مَحَبَّةٍ بِحَسَبِ مَقَامَاتِهِم، لِتَكُونَ مُوَافِقًا لِلَّهِ فِي مَحَبَّتِهِ؛ وَتَعَاهَد ذَلِكَ بِالتَّحَبُّبِ إِلَى المُؤمِنِينَ بِطَلَاقَةِ الوَجهِ، وَحُسنِ الخُلُقِ، وَالمُعَامَلَةِ الجَمِيلَةِ، فَإِنَّهَا فِي نَفسِهَا عِبَادَةٌ، وَهِيَ جَالِبَةٌ لِتَحَقُّقِ القُلُوبِ بَينَكَ وَبَينَ المُؤمِنِينَ بِالمَوَدَّةِ وَالرَّحمَةِ.

وَوَطِّن نَفسَكَ عَلَى مَا يَنَالُكَ مِنَ النَّاسِ مِن أَذًى قَولِيٍّ، أَو أَذًى فِعلِيٍّ، أَو مُعَامَلَةٍ مِنهُم بِضِدِّ مَا عَامَلتَهُم بِهِ مِنَ الإِحسَانِ، فَإِنَّ تَوطِينَ النَّفسِ عَلَى ذَلِكَ يُسَهِّلُ عَلَيكَ الأَمرَ وَتَتَلَقَّى أَذَاهُم بِضِدِّهِ؛ وَلْيَكُنِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ عِندَ ذَلِكَ، فَإِنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ هُوَ الَّذِي يُهَوِّنُ عَلَيكَ هَذَا الأَمرَ الَّذِي هُوَ شَدِيدٌ عَلَى النَّفسِ، وَاعلَم أَنَّ هَذَا الوَصفَ مِن أَوصَافِ الكُمَّلِ مِن أَولِيَاءِ اللهِ وَأَصفِيَائِهِ، فَبَادِر لِلاِتِّصَافِ بِهِ، فَمَن أَبغَضَكَ وَعَادَاكَ وَهَجَرَكَ، فَعَامِلهُ بِضِدِّ ذَلِكَ: لِتَكسَبَ الثَّوَابَ، وَتَكتَسِبَ هَذَا

الخُلُقَ الفَاضِلَ، وَتَتَعَجَّلَ رَاحَةَ قَلبِكَ، وَتُخَفِّفَ عَن نَفسِكَ هَمَّ المُعَادَاةِ، وَرُبَّمَا انقَلَبَ العَدُوُّ صَدِيقًا، والمُبغِضُ مُحِبًّا، كَمَا هُوَ الوَاقِعُ؛ وَاعفُ عَمَّا صَدَرَ مِنهُم لِلَّهِ، فَإِنَّ مَن عَفَا عَن عِبَادِ اللهِ عَفَا اللهُ عَنهُ، وَمَن سَامَحَهُم سَامَحَهُ اللهُ، وَمَن تَفَضَّلَ عَلَيهِم تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيهِ، وَالجَزَاءُ مِن جِنسِ العَمَلِ؛ وَلِيَنصَبِغ قَلبُكَ كُلَّ وَقتٍ بِالإِنَابَةِ إِلَى اللهِ، وَمَحَبَّةِ الخَيرِ لِعِبَادِ اللهِ، فَإِنَّ مَن كَانَ كَذَلِكَ فَقَد تَأَصَّلَت فِي قَلبِهِ أُصُولُ الخَيرِ الَّتِي تُؤتِي أُكُلَهَا وَثَمَرَاتِهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذنِ رَبِّهَا، وَبِهَذَا يَكُونُ العَبدُ أَوَّابًا ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

وَإِذَا اجتَمَعتَ مَعَ النَّاسِ فَخَالِقهُم عَلَى حَسَبِ دَرَجَاتِهِم، الصَّغِيرَ وَالكَبِيرَ وَالشَّرِيفَ وَالوَضِيعَ، وَالعَالِمَ وَالجَاهِلَ، كُلُّ أَحَدٍ تَكَلَّم مَعَهُ بِالكَلَامِ الَّذِي يُنَاسِبُهُ وَيَلِيقُ بِحَالِهِ، وَيُدخِلُ السُّرُورَ عَلَيهِ، وَبِالكَلَامِ الَّذِي لَهُ بِهِ مَيدَانٌ، مُعَلِّمًا لِلجَاهِلِ مُتَعَلِّمًا مِمَّن هُوَ أَعرَفُ مِنكَ، مُتَشَاوِرًا مَعَ نَظِيرِكَ فِيمَا هُوَ الأَحسَنُ

وَالأَصلَحُ مِنَ الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، آخِذًا لِخَوَاطِرِهِم مُوَافِقًا لَهُم عَلَى مَطَالِبِهِمُ الَّتِي لَا مَحذُورَ فِيهَا، حَرِيصًا عَلَى تَأنِيسِهِم وَإِدخَالِ السُّرُورِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، مُضَمِّنًا كَلَامَكَ لِكُلِّ أَحَدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ النَّصَائِحِ الَّتِي تَنفَعُ الدِّينَ وَالدُّنيَا، وَمِنَ الآدَابِ الجَمِيلَةِ، وَحَثِّهِم عَلَى قِيَامِ كُلٍّ مِنهُم بِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنَ الحُقُوقِ الَّتِي لِلَّهِ وَالَّتِي لِلخَلقِ، مُوْضِحًا لَهُمُ الطُّرُقَ المُسَهِّلَةَ لِفِعلِ الخَيرِ، وَالأَسبَابَ الصَّارِفَةَ عَنِ الشَّرِّ، وَاقنَع بِالقَلِيلِ إِذَا عَجَزتَ عَنِ الكَثِيرِ؛ وَاعلَم أَنَّ قَبُولَهُم وَانقِيَادَهُم مَعَ الرِّفقِ وَالسُّهُولَةِ، أَبلَغُ بِكَثِيرٍ مِن سُلُوكِ طَرِيقِ الشِّدَّةِ وَالعُنفِ، إِلَّا حَيثُ تُلجِئُ الضَّرُورَةُ إِلَى ذَلِكَ، فَلِلضَّرُورَةِ أَحكَامٌ»[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي» (٥/ ٥١٥ - ٥١٧).

الخَاتِمَة

الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ.

حُسنُ الخُلُقِ: هُوَ القِيَامُ بِحُقُوقِ المُسلِمِينَ، وَحُسنُ الصُّحبَةِ مَعَهُم، وَهُوَ رُكنٌ مِن أَركَانِ الدِّينِ؛ إِذِ الدِّينُ مَعنَاهُ السَّفَرُ إِلَى اللهِ ﷻ، وَمَن أَرَادَ السَّفَرَ حَسَّنَ الصُّحبَةَ فِي مَنَازِلِ السَّفَرِ مَعَ المُسَافِرِينَ، وَالخَلقُ كُلُّهُم مُسَافِرُونَ، يَسِيرُ بِهِمُ العُمُرُ سَيرَ السَّفِينَةِ بِرَاكِبِهَا.

وَأَقَلُّ دَرَجَاتِ حُسنِ الصُّحبَةِ: كَفُّ الأَذَى عَنهُم، وَفَوقَ ذَلِكَ: أَن يَنفَعَهُم، وَيُحسِنَ إِلَيهِم؛ وَفَوقَ ذَلِكَ: أَن يَتَحَمَّلَ الأَذَى مِنهُم، وَيُحسِنَ مَعَ ذَلِكَ إِلَيهِم، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ.

إِنَّ الأَخلَاقَ الحَسَنَةَ وَالسُّلُوكَ القَوِيمَ أَجمَلُ

حُلَّةٍ يَتَجَمَّلُ بِهَا المَرءُ بَينَ العِبَادِ، وَأَقوَمُ طَرِيقٍ يَسلُكُهُ المُرِيدُ إِلَى رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، إِنَّ الأَخلَاقَ عَظِيمٌ شَأنُهَا، جَلِيلٌ قَدرُهَا، خَطِيرٌ وَقعُهَا.

الدِّينُ حُسنُ الخُلُقِ، وَمَن سَبَقَكَ فِي الخُلُقِ، سَبَقَكَ فِي الدِّينِ.

وَإِنَّ مَثَلَ حُسنِ الخُلُقِ فِي الدِّينِ، كَمَثَلِ اللَّآلِئِ فِي البِحَارِ، وَاللُّبَابِ فِي الثِّمَارِ؛ وَإِذَا تَجَرَّدَ المُؤمِنُ مِن مَكَارِمِ الأَخلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الصِّفَاتِ، فَقَدَ ذَاتَهُ، وَكَثُرَت عَثَرَاتُهُ.

فَلنَتَخَلَّق بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَلنُنَزِّه أَنفُسَنَا عَن كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ، فَإِنَّ العَبدَ لَا يَزَالُ يَتَرَقَّى بِأَخلَاقِهِ العَالِيَةِ، وَيَتَرَبَّى بِآدَابِهِ السَّامِيَةِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَعلَى الدَّرَجَاتِ، وَلَا يَزَالُ يَسفُلُ فِي أَخلَاقِهِ، حَتَّى يَهبِطَ إِلَى أَسفَلِ الدَّرَكَاتِ.

فَمَن طَهَّرَ نَفسَهُ مِنَ الأَخلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَأَلزَمَهَا الأَخلَاقَ الجَمِيلَةَ، كَانَ ذَلِكَ عُنوَانَ سَعَادَتِهِ، وَمَنشُورَ سِيَادَتِهِ؛ وَمَنِ امتَلَأَ بِمَسَاوِئِ الأَخلَاقِ القَبِيحَةِ،

فَليُبشِر بِخَسَارَةِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَزَوَالِ النِّعَمِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

عَن سَهلِ بنِ سَعدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخلَاقِ، وَيَكرَهُ سِفسَافَهَا**»(١).

وَمَعَالِي الأَخلَاقِ: الأَخلَاقُ العَالِيَةُ الزَّكِيَّةُ الشَّرِيفَةُ. **وَسِفسَافُهَا**: أَي: حَقِيرُهَا وَرَدِيئُهَا.

مَنَّ اللهُ عَلَيَّ وَعَلَيكُم بِمَكَارِمِ الأَخلَاقِ وَمَعَالِيهَا، وَحَفِظَنَا مِن مَضَارِّهَا وَمَسَاوِيهَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ، وَآخِرُ دَعوَانَا أَنِ الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

(١) روا الطبراني (٥٩٢٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٨٠١).

الفَهرِس

الموضوع	الصفحة
المُقَدِّمَةُ	٣
مَا هُوَ حُسنُ الخُلُقِ؟	٦
١- بَسطُ الوَجهِ	٦
٢- بَذلُ المَعرُوفِ	٧
٣- كَفُّ الأَذَى	١٠
التَّرغِيبُ فِي حُسنِ الخُلُقِ	١٣
١- الأَمرُ بِهِ	١٣
٢- الوَصِيَّةُ بِهِ	١٩
٣- حُسنُ الخُلُقِ صِفَةُ المُؤمِنِينَ الكُمَّلِ الخُلَّصِ	٢٠
٤- حُسنُ الخُلُقِ مِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ	٢٢
٥- حُسنُ الخُلُقِ يَبلُغُ بِهِ العَبدُ دَرَجَاتِ المُجتَهِدِينَ فِي العِبَادَةِ	٢٤
٦- حُسنُ الخُلُقِ أَثقَلُ شَيءٍ فِي المِيزَانِ	٢٥
٧- حُسنُ الخُلُقِ سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ	٢٦

الموضوع	الصفحة
٨- حُسنُ الخُلُقِ سَبَبٌ فِي مَحَبَّةِ اللهِ ﷻ لِعَبدِهِ	٢٦
٩- حُسنُ الخُلُقِ يَحصُلُ فِيهِ الخَيرُ الكَثِيرُ	٢٧
١٠- حُسنُ الخُلُقِ سَبَبٌ لِاستِيعَابِ النَّاسِ	٢٨
١١- حُسنُ الخُلُقِ يُعَمِّرُ الدِّيَارَ	٢٩
١٢- حُسنُ الخُلُقِ خَيرُ عَطَاءٍ	٣٠
١٣- حُسنُ الخُلُقِ أَفضَلُ الأَعمَالِ	٣٠
فَوَائِدُ حُسنِ الخُلُقِ	٣٢
١- أَنَّهُ امتِثَالٌ لِأَمرِ اللهِ	٣٢
٢- أَنَّهُ طَاعَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ	٣٤
٣- أَنَّهُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ مِن أَفضَلِ العِبَادَاتِ	٣٤
٤- بِهِ يَتَمَكَّنُ المُنَاظِرُ وَالمُخَاصِمُ مِن إِبدَاءِ حُجَّتِهِ، وَفَهمِ حُجَّةِ صَاحِبِهِ	٣٤
٥- بِالخُلُقِ الحَسَنِ يَسلَمُ العَبدُ مِن مَضَارِّ العَجَلَةِ وَالطَّيشِ	٣٥
٦- بِالخُلُقِ الحَسَنِ يُتَمَكَّنُ مِنَ الوَفَاءِ بِالحُقُوقِ	٣٥
٧- حُسنُ الخُلُقِ يَدعُو إِلَى صِفَةِ الإِنصَافِ	٣٥
٨- كَسبُ القُلُوبِ	٣٥
٩- السَّلَامَةُ مِن شَرِّ الخَلقِ	٣٧

الموضوع	الصفحة
١٠- حُسنُ الخُلُقِ جَمَالٌ فِي الدُّنيَا	٣٩
١١- صَاحِبُ الخُلُقِ الحَسَنِ مِفتَاحٌ لِلخَيرِ مِغلَاقٌ لِلشَّرِّ	٤٠
١٢- صَاحِبُ الخُلُقِ الحَسَنِ تُحرَمُ النَّارُ عَلَيهِ	٤٢
١٣- الخُلُقُ الحَسَنُ: رِفعَةٌ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ	٤٢
١٤- صَاحِبُ الخُلُقِ الحَسَنِ مُستَرِيحُ القَلبِ	٤٣
١٥- السَّلَامَةُ مِنَ النِّفَاقِ	٤٤
عَوَاقِبُ سُوءِ الخُلُقِ	٤٦
١- سُوءُ الخُلُقِ يُفسِدُ الأَعمَالَ وَيُفسِدُ الأَحوَالَ	٤٦
٢- سَيِّئُ الخُلُقِ يُبغِضُهُ الرَّسُولُ ﷺ	٤٩
٣- سَيِّئُ الخُلُقِ يُبغِضُهُ اللهُ	٤٩
٤- سَيِّئُ الخُلُقِ هُوَ مَن مَلَأَ اللهُ أُذُنَيهِ مِن ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسمَعُهُ	٥٠
٥- سَيِّئُ الخُلُقِ النَّاسُ مِنهُ فِي بَلَاءٍ، وَهُوَ مِن نَفسِهِ فِي عَنَاءٍ	٥٠
٦- سَيِّئُ الأَخلَاقِ قُدوَةٌ سَيِّئَةٌ لِغَيرِهِ	٥١
٧- الأَخلَاقُ السَّيِّئَةُ يَجُرُّ بَعضُهَا بَعضًا	٥٣
٨- سُوءُ الخُلُقِ يُغَطِّي غَيرَهُ مِنَ المَحَاسِنِ	٥٥
٩- سُوءُ الخُلُقِ يُؤَدِّي إِلَى دُخُولِ النَّارِ	٥٧

الموضوع	الصفحة

عِلَاجُ سُوءِ الخُلُقِ ٥٨
١- إِدمَانُ النَّظَرِ فِي فَضَائِلِ حُسنِ الخُلُقِ ٥٨
٢- التَّأَسِّي بِأَخلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ ٥٨
٣- مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ ٦١
٤- عَامِلِ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَن يُعَامِلُوكَ بِهِ ٦٤
٥- طَلَاقَةُ الوَجهِ مَعَ النَّاسِ ٦٦
٦- الدُّعَاءُ ٦٧
٧- المُجَاهَدَةُ ٦٨
٨- تَكَلُّفُ الأَخلَاقِ الحَسَنَةِ ٦٩
٩- عُلُوُّ الهِمَّةِ ٧٢
١٠- الصَّبرُ ٧٤
١١- لُزُومُ الصِّدقِ ٧٥
١٢- المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ ٧٦
١٣- لُزُومُ الحَيَاءِ ٧٦
١٤- إِفشَاءُ السَّلَامِ ٧٦
الخَاتِمَةُ ٨٢
الفِهرِسُ ٨٥